1re. Année, No. 21

بدل الاشــــتراك

٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصـــدر مؤقتاً
فى أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique.

Mercredi, 15-11-1933

صاحب المجـــلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
....
الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٣٩٩

العدد الحادى والعشرون « القاهرة فى يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ١٣٥٢ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

نهضة الشـــباب . . .

نهضة الشباب اليوم احدى الظواهر المميزة لهذا الجيل . وهى أجلى ما تكون فى الأمم المظلومة أو المهدَّدة بالظلم . كأنما أخفق فى سياستها (رأى) الشيوخ ، فصمد الى قيادتها (عزم) الشباب ! والواقع أن هذه النخوة القدسية التى تعصف برءوس الفتيان فى إيطاليا والمانيا وسورية ومصر ، انما هى القارعة التى تصِمُّ والظاهرة التى تخيف ، لأن الشباب اذا كان لهم الصف الأول فى الحرب ، فان لهم الصف الأخير فى السلم ، فاذا ألجأهم تقلب الصروف الى تقدم الصفوف ، دل ذلك على سياسة عاجزة ، أو سِلْمٍ مريبة ، أو خطرٍ محدق . وعجز السياسة اتهام لحنكة السن ، وريب السلم ايذان بصراحة الحرب ، وتفارُس الاهواء إعلان بنزول الغاشية .

فا (لفاشية) و (النازية) و (عصبة العمل القومى) و (عيد الوطن الاقتصادى) وغيرها من حركات الشباب وثباتٌ دفاعية بعثتها الانسانية المهددة بالتفكك والفوضى والهوان والاستعباد والجشع . ولئن كان لكل دولة من هذه الدول ، علة أو أكثر من هذه العلل ، فان مصر البائسة تكابد هذه النكبات جميعاً ! فأخلاقها تفككها الحزبية الأثِرة ، وآراؤها تشتتها المطامع الخبيثة ، وكرامتها تهينها الامتيازات الباغية ،

وقوميتها توهنها الأجنبية الموغلة ، وحريتها تقيدها القوة المحتلة ، وارزاقها تسلبها (الضباقة) الثقيلة . وأبناؤها (الكرماء) القانعون الخانعون قد ألفوا مضاجع الهون فلا تؤذيهم الفضاضة ، ولا تؤلمهم الخصاصة ، ولا يبغون حولا عن هذه الحال !

ولكن الشباب ـ وإن أعدّهم هذا الحاضر الذليل ـ قد أعانتهم خصائص الفتوة ، وغرائز الفطرة ، على أن يدركوا ما نحن فيه من ضراعة الجانب ، ووضاعة الشأن ، وضيق المضطرب ، فهبوا يُعزّون النفوس الذليلة ، ويحمون الحوزة المباحة ، ويستردون الثروة المضاعة ، ويمهدون لهذا البلد العانى طريق الاستقلال الخالص السعيد !

ومَن أحقُّ بحماية الوطن واعزازه من الشباب ؟ !

إنهم يعيشون للغد وآباؤهم يعيشون لليوم . فهم يحرصون على المستقبل ويجعلون الحاضر رأس مال ، وأولئك يحرصون على الحاضر ويعدون المستقبل تركة ! وشتان بين من يعمل لنفسه عن حاجة ، وبين من يعمل لغيره عن عاطفة .

***

لقد كان شبابنا وما زالوا أغرودة الأمل الباسم فى فم وادينا الجميل ، وسرّ النشاط الدافق فى روح نهضتنا المرجوّة ؛ حملوا وما زالوا يحملون لواء الغضبة المقدسة فى وجه الدخيل العادى ، وغسلوا وما زالوا يغسلون أدران الماضى بالعرق الطهور والدم الغالى ؛ ثم رأوا ان مصر المكودة إنما يقف فى طريق حياتها الطبيعية احتلالان لا احتلال واحد : احتلال سياسى يحتل الثكنات ، ويخادع الحكومة ، ويغل الحرية ، ويهين الحق ، ويؤذى الكرامة ؛ واحتلال اقتصادى يحتل المدائن ، ويغزو القرى ، ويأكل الأرض ، ويشرب النيل ، ويحتكر التجارة ، ويجلب الخمور ، ويهرّب المخدرات ، ويتكسب بالمنكرات ، ويفتك بالجيوب ، ويلغ فى الاعراض ، ويعيث بالدين ، ويحل على الجملة فى سبيل المغنم ما حرمته الشرائع والضمائر والعُرف ، ثم يتبجح بعد ذلك كله بأنه القيم على المدنية والحرية والعدالة ، ينثرها فى طريقه ، وينشرها فى مجلسه ، ويمثلها فى نفسه ! فاذا قلت فى رقة المتنازل لهذا الضيف المدلل ان ما تعمله يناقض ما تقوله ، تجهمت (امتيازات) الدول ، وترغمت (تحفظات) الانجليز !!

رأى شبابنا أن جهاد هذين الاحتلالين أمر لا يتحقق خلاصنا بدونه ، وأن قصْر الجهود على احد الميدانين يمكّن الحليفين من حشد كل القوى فى ذلك الميدان ، فأرهفوا النشاط ، وأرصدوا الأُهبة ، ولاقوا الواغل فى كل طريق !

ليس بسبيلنا اليوم أن نعرض فيالق الشباب فى مختلف الميادين ، فقد اشرنا الى ذلك فى كلمة سابقة ، انما نريد أن نسجل فى ثَبَت المجاهدين فيلقا جديدا جاء يؤكد مرة أخرى ان هذه الأمة الكريمة قد قطعت عزمها على أن تعيش فى أرضها حرة وفى ملكها سيدة . ذلك الفيلق هو جماعة عيد الوطن الاقتصادى ، وهم فريق من الطلاب العاملين المخلصين البررة ، حمّلوا نفوسهم الرقيقة فوق تكاليف الدرس أعباء الدعاية للتجارة المصرية والمنتجات الوطنية ، فهم يُعرضون عن مطالب الصِّبى ، ويصدفون عن مباهج العيش ، ويبذلون جهودهم وميولهم فى مكاتب العمل من نادى اتحاد الجامعة : يعلنون بالوسائل المختلفة عن المشروع الذى يُعدونه ، ويدعون اخوانهم الى التطوع فى الجيش الذى يحشدونه ، ويتصلون بالتجار ليقنعوهم بالاشتراك فى الدليل الذى يصدرونه ، ويجمعون الأُهَبَ للمهرجان الفخم الذى يهيئونه ، ويزورون المصانع والمتاجر ليحققوا الوجه الذى يقصدونه ، ويعانون فى سبيل ذلك رهقا شديدا فى النفس والمال والكرامة ، أجل ، أقول والكرامة لأن كثيراً من تجارنا لا يزالون يتعاطون التجارة على منهج دارس ، وطبع ألفّ ، فهم يتهمون الناصح ، ويستغشون المشير ، وينكرون التطور ، ويجهلون الأعلان ، ويعتمدون فى جلب الحرفاء ورواج السلع على التمائم والأدعية !!

***

سيكون عيد الوطن الاقتصادى يوم دعاية وإعلان وعرض ، وسيقدم للمارين الأدلة التى تملك الاسماع وتطرف العيون على أن مصر الناهضة تسير فى طريق مأمونة الى غاية مضمونة !

فمساهمة الشباب فيه بالتطوع ، وانضواء التجار اليه بالاشتراك ، وعطف الجمهور عليه بالتأييد ، ضمان للنصر المبين فى إحدى المعارك الفاصلة ،

إن القبعات فى الطرقات ، اكثر وأخطر منها فى الثكنات ، واليوم الذى لا ترى فيه على الرءوس غير الطربوش ، ولا تقرأ على جباه الحوانيت إلا العربية ، ولا تسمع فى مختلف المعامل غير اللهجة المصرية ، هو اليوم الذى تقول فيه وأنت صادق : لقد صفا النيل ، وملك الأصيل ، واستقلت مصر !!

احمد حسن الزيات

بقيـــة من لغو الصيف

للدكتور طه حسين

ليتك لم تأمري وليتني لم أطع . فمن صواب الناس ما يكون خطأ . ومن خطأ الناس ما يكون صوابا . والمرء بخير ما عرف لنفسه قدرها ولم يعد بها حقها ، ولم يكلفها الحياة في النجوم ، وقد خلقت لتحيا في الارض .

ولقد حاولت في غير طائل أن أعرف ماذا كنت تنكرين من صحبتنا في بلاد الغربة . فقد كنا نلتقي ونفترق لا يكون بيننا الا حديث نقي بريء فيه ذكر للأدب والأدباء ، وعبث بالاثناء والمثنين . فازلت تعيين ذلك وتظهرين كرهه ، ومازلت تسرين الرغبة فيه ؛ وتعلنين الضيق به حتى ملأت صدري ضيقا بنفسي ، وحرجا بمكاني منك ، وخيلت الي أني أثقل عليك ، وأكلفك من صحبتي ما لا تطيقين ؛ حتى اذا كان ذلك اليوم وليته لم يكن تقدمت الى في الرحيل فامتنعت عليك وأسرفت في الامتناع ، وألححت أنت وأغرقت في الالحاح ، ولم أجد بدا من الطاعة وان كنت لها لكارها ، ولم تجدي بدا من المضي في الأمر ، وان كانت نفسك لتحدثك في العدول عنه .

ولم أكد أستقر في باريس ، ولم تكادي تستقرين في مدينتك الجامعية الصغيرة حتى اتصلت بينك وبين هذه الكتب والرسائل التي لا أستطيع ان أصفها بأقل من انها برهان قوي ساطع . على اننا نخدع انفسنا عن انفسنا . ونتكلف في ارضاء الناس واوضاعهم مالا يحفل به الناس ، ولا يلتفتون اليه ، وما لا نحتمله نحن الا في جهد جاهد ، وعمر لا حد له

والآن وقد أضعنا من حياتنا اياما طوالا كنت تترددين فيها على حجرات الدرس في الجامعة ، وكنت اتردد فيها على الأندية وملاعب التمثيل ، أكتب اليك وقد آن لي أن أعود الى القاهرة . لعلك تأذنين في أن نلتقي مرة قبل أن أعبر البحر .

ولست أدري أيقع هذا الكتاب منك موقع الرضى أو موقع السخط ؟ ولكني أعلم أن الايام معدودة علينا في هذه الحياة وان من الحق أن يستطيع الأصدقاء التلاقي ثم لا يلتقون ، ينتظرون أن يتاح لهم ذلك في يوم آخر قريب أو بعيد . فمن يدري لعل هذا اليوم ألا يجيء ، ولعل الاحداث والخطوب أن تحول بين الأصدقاء وبين ما كانوا يقدرون من اللقاء فيه . ولو عقل الناس لما تفرقوا الا حين لا يكون من الفراق بد ، ولكن الغرور يغرهم بأنفسهم ويطمعهم في الايام ، فيخيل اليهم أنهم مخلدون وأنهم ليمرون بالحياة كما يمر الطيف بالنائم المغرق في النوم وقد تعجبين حين تعلمين أني لا أكتب اليك من باريس ، وانما أكتب اليك وقد دنوت منك حتى لم يبق بينك وبيني الا مسير دقائق على الأقدام . فقد وصلت الى مدينتك الجامعية مع المساء وأنا أكتب اليك وستقرئين كتابي مع الصباح فان أردت لقائي فهذا رقم التليفون ، وإن أبيت فان القطار يبرح مدينتك الى مرسيليا مع الظهر ، ولن أراك حتى اعلم بأن رؤيتي لا تؤذيك ولا تثقل عليك ، ولا تخيل اليك أنك تخرجين على ما ألف الناس من أوضاع واطوار .

عجبت للاذكياء وكبار العقول انهم ليأخطون انفسهم احيانا عالما لا يلائم الذكاء ولا تسيغه العقول .

وكانت تختلف على وجهها الناصع وهي تقرأ هذا الكتاب مظاهر الوفاق والخلاف وآيات الرضى والسخط . فكان وجهها

عيد الوطن الاقتصادى

رأى ونصـــيحة

للدكــتور منصور فهمى

وجه أحد شباب المشروع الى عميد كلية الآداب معالى السؤالين

١ — ما رأيكم فى عيد الوطن الاقتصادى كمظهر من مظاهر الشباب ؟

٢ — هل لكم من نصيحة توجهونها الى الشباب القائم بالمشروع ؟

فأجاب الأستاذ عنهما بما يأتى :

١ — لا شك أن أقابل بالعطف والتشجيع كل جهد مخلص فى سبيل النهضات الاقتصادية والدعاية اللائقة لها ، لأننا نعتقد أن فى تلك الجهود ما يعين على خدمة الاخلاق ، وذلك أن كل مشروع يوسع مجال العمل قد يضيق حظائر البطالة وما يتسبب عنها من المفاسد والشرور ، وطالما بين لنا التاريخ أثر الحياة الاقتصادية فى نهضات الشعوب العقلية ، وفى نظامها الخلقى ؛ فالانسان لايطيب له التأمل والتفكير إلا إذا كان رزقه فى يسر وسعة ؛ ومن تضيق به موارد العيش قد يركب صعاب الامور ويهون عليه اذا لم يكن من الذين تحصنت نفوسهم بالشدة فى الخلق ، أن يفرط فى ماتدعو اليه الاخلاق الفاضلة ؛ وإنى إذن اعتمد على ما قدمت لابارك للشباب جهده فى الدعوة إلى خدمة الحياة الاقتصادية بشتى المظاهر الجديدة لشباب مثقف نشط فى قدرته أن يحسن الاختيار لأساليب الدعاية البريئة المهذبة

٢ — أما أول نصيحة أوجهها للشبان القائمين بالمشروع فهى ألا تأخذهم نشوة الحماسة إلى دعوة محمودة فيعتمدون كل الاعتماد على رأيهم ولوامع خيالاتهم دون أن يرجعوا لآراء المجربين الخبيرين ممن اشـــتغلوا بالامور الاقتصادية ، لأن مسائل الحياة الاقتصادية فى الامم متشعبة كثيرة الاتصال بشتى المسائل العمرانية ، وقد لايصيبها النجاح المرجو اذا هى لم تعالج فى فطنة ودقة ، وخبرة وكياسة ، ومن أجل هذا أوصيهم بكل شدة أن يقتحموا هذه الابواب ومعهم زادهم من نصائح كبار الاقتصاديين من مواطنيهم ، وتوجيهاتهم لكى تغذى تلك الارشادات نشاطهم ، فيسير إلى حيث يثمر الثمرات الطيبة . وأما نصيحتى الثانية فهى أن تقوموا بعملكم المشروع بنفس زكية لا يداخلها عداء لأعمال غيركم ، انما يداخلها الايمان بمشروعية عملكم وقيمته وطهارة سبله ونزاهة الوسائل التى تحققه

ويجب ألا ينسيكم العمل المبرور أعمالكم الدراســـية لأنها الواجب الأول المباشر فى المرحلة التى انتم فيها ، فاذا كان لديكم فضل من الوقت تروضون فيه أنفسكم على الأعمال الاجتماعية عن طيب خاطر وعن إخلاص وعلى نحو ما نصحت لكم فانى آمل أن يوفق الله مساعيكم ؟

بطالة المتعـــلمين

ورأينا فى علاجها

الدكتور محمد حسين هيكل بك

لاشيء يعنى به شباب مصر فى هذه السنين عنايته بالشئون الاقتصادية وما يزال مشروع القرش ماثلا فى أذهان الناس ، وما يزال شبان القرش مستعدين للهجوم اذا آن موعده فى أول كل عام جديد . وهانحن نكتب هذه الكلمة لعيد الوطن الاقتصادى وأنت حيثما ذهبت لم تكد تسمع شيئا الا فى الاقتصاد والمشروعات الاقتصادية وما اليها . فما عسى يكون السبب فى هذا ؟

السبب فيما يخيل الينا هو هذا الذى يسمونه عطلة المتعلمين . فالمدارس فيما يزعمون تخرج عددا أكبر بكثير مما تحتاج إليه وظائف الدولة ، ومما تحتاج إليه الاعمال الحرة المعروفة الى اليوم ، فلابد من خلق أعمال حرة جديدة ليقتحم هذا الشباب المتعلم ميادينها ولتبرأ البلاد بذلك من مرض العطلة . وقد يكون هذا صحيحا ولكن هل ينجع مثل هذا العلاج فيوجد عملا لمن تخرجهم المدارس العليا والكليات والمدارس الفنية والخصوصية فى كل عام ممن لايجدون عملا فى الحكومة أو فى الوظائف الحرة المعروفة ؟ وهل ينجع فى إيجاد عمل للألوف الذين يحصلون على شهادة الدراسة الثانوية ولا يستطيعون إتمام دراساتهم العالية والفنية ؟ نشك فى هذا كثيرا . وعلة الشك ان هؤلاء المتعلمين يريدون عملا من طراز معين . يريدون عملا على مكتب من المكاتب ويأنفون العمل اليدوى . وهذا العمل على مكتب لايتيسر للألوف وعشرات الألوف ممن يتخرجون ، فلا طاقة لمشروعات الشباب بمواجهة رغباتهم وبإيجاد أسباب الكسب لهم .

وعلاج هذه الحال فى رأينا إنما يكون بفتح أبواب التعلم على مصاريعها جميعاً . للناس جميعاً . وجعل التعلم فى متناول الكل ، ينهل منه من شاء فى حدود طاقته . يوم يصبح الكل متعلمين ، ولا تكون طائفة المتعلمين محصورة لا يأنف الانسان أن يباشر

عملا يدويا أو غير يدوى ، ويومئذ يصبح كل عمل شريفاً ، ويومئذ يمسك المتعلم بالفأس والمحراث ، ولا يرى فى ذلك ما يحط من شأنه ، ويشتغل المتعلم فى الصناعات المختلفة ، فى صناعة الجلود والأحذية ، فى التجارة والحدادة ، فى فلاحة البساتين ، فى التجارة بمختلف أنواعها ، ولا يكون واحد من هذه الأعمال أقل رفعة ومكانة وتشريفاً لصاحبه من العمل على مكتب ، ولا من منصب الوزارة أو أى منصب حكومى آخر

هذا فى رأينا هو الحل العملى المنتج ، فعلة بطالة المتعلمين وعطلهم : أنهم يرون أنفسهم طائفة خاصة ممتازة ، يجب أن يكون لها عمل خاص ممتاز ، فإذا لم يجد أفرادها هذا العمل فضلوا البطالة ولو تكففوا الناس بعد ذلك ؛ فإذا زالت عنهم صفة الطائفة ، بأن أصبح الناس جميعاً متعلمين وجب على هؤلاء المتعلمين أن يزاولوا كل الأعمال فأصبح بذلك كل عمل شريفاً كما قدمنا ، واتسع الميدان لكل من يريد أن يقتحمه

لا يقلل هذا من تقديرنا لجهود الشبان فى الوقت الحاضر . ولكنا نعتقده غير قادر على علاج المشكلة التى دفعت الى هذا النشاط إلا بمقدار ، وبهذا المقدار يستحق الشباب الحمد والشكر ؟

محمد حسين هيكل

نــــداء

لسكرتيرة المتطوعات

أخواتى :

أقسم الشباب أن يمضى جهاده بعزيمة قوية وهمة فتية يريد لمصر غناء موفوراً ، ورخاء سخياً ، ويسراً عريضاً ، فهلا ساهمت معهم بوطنيتك وأيدتهم بإخلاصك ووفائك ؟ إن المشروع لا يطلب اليك أكثر من أن تؤمنى بعقيدة الجهاد فى سبيل مصر : ترتدين الرداء المصرى الصميم ، وتدعين للصانع والتاجر المصرى فى الوسط الذى تعيشين فى أفقه ، وتوزعين الدليل الوطنى أيام العيد ، وتحفين بالموكب فى مهرجان مصر ، التى نعيش من أجلها ، ونجاهد فى سبيلها

ولقد حرصت لجنة المتطوعات على أن تعمل بعيده عن الأفق الذى يجاهد فى حدوده اخواننا الشبان ، رعاية لتقاليد البلاد ، وصوناً لسمعة المجاهدات وحرصاً على صفاء الجو الذى تناضل فى أفقه . . فهيا إلى العمل وليكن شعارنا الذى نفاخر به : « مصر للمصريين »

سعاد حسن

. . . بل مصر مصرية !

بقـــلم الآنسة مى

« مصر للمصريين » . . هذه الكلمة أقرؤها لكم كاتبين ، أيها الشبان ، وأسمعها منكم محدثين .

وإنها لكلمة جميلة خصيبة عادلة . لكنّ ما هو أجمل منها وأخصب وأعدل هو الغرض الذى ترمون اليه فى حركتكم الوطنية الاقتصادية : جعل مصر مصرية !

المعلوم عن مصر أنها بحكم موقعها الجغرافى بلدٌ دولىٌ حتماً . فهى بمقتضى ذلك تفتح بابها لكلّ شعب ، وترحّب بكلّ حضارة ، وتتسع كل صناعة ، وكلُّ ثقافة تجدُ فى مغناها ضالةً وانتشاراً .

ولما كان لكل مقام مقال ، فان مصر لم تعدم من ينعى عليها موقفها ذاك . والشعراء — الشعراء البررة القساة ، كم استوحوا هذا الموضوع فنمّقوا المراثى يعرضون فيها جيوشَ المصائب والمحن الضاربة فى هذا البلد الأمين ، ويشهدون العالمين — باللغة الفصحى ! — على ما معناه أن : « مصر بنت طيبة ، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً » ! . . .

ولكم بكى الباكون من جراء وقع هــــذه البلاغات الشعريات (... جمع بلاغة شعرية !) . وإن لم يبكوا بدموع تُمسح بالمناديل فلا أقلّ من زفرات ملتهبة تتسرّب من القلوب المحروبة حيث الشفاه تردد قول الشاعر : « مصر بنت طيبة ، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً » . . . .

* * *

فتيان مصر ، فتيان الحياة الجديدة فى مصر !

بحركة واحدة قمتم أنتم قومة رجل واحد . قمتم لأنكم بحميّتكم الأبية ، وبشبابكم الحارّ ، وبرفائكم البصير ، أدركتم أن سلاسل القضاء والقدر كثيراً ما يحبكها المرء لنفسه ، وأن البلاد كثيراً ما يهمل أبناؤها أمرها فيكونون لها ظالمين !

أمصر ميدان لشتى الصناعات والثقافات والحضارات ؟ إذن لتستفيدوا من كل أولئك . وما كان فى نظر المتشائمين موضوع رثاء وحسرة ينقلب بين أيديكم موضوع جذل وأريحية

وميدان خير عميم ! تأخذون من كل قوم خير ما عندهم من ابتكار ونظام وتدبير ، فتطبقونه على قومكم بمقدار ما يتناسب وحاجاتكم . وما أنتم بذلك إلا ماشون سنن التاريخ . فما من صناعة أو ثقافة أو حضارة إلا اقتبست شيئاً مما سبقها أو استلهمت شيئاً مما يحيط بها .

ما هو الفرق بين مصر وبين غيرها من البلدان القوية ؟ أول فرق ظاهر أن البلدان القوية تستهلك ما تنتج ، وتدفق على غيرها من الأقطار ما يفيض عن حاجتها ، في حين أن مصر تنتج قليلا وتستهلك كثيراً مما يقدمه لها المنتجون . وهذا هو النقص الذي قمتم تعالجون !

أوتذكرون قول الاسكندر قبل أن يقدم على فتح الأمصار القريبة والبعيدة؟ قال : « أريد أن أرث عن أبي فيليب بلداً صغيراً فقيراً مرتبكا ليكون لي الفخر بأن أجعله بلداً فسيحاً غنيا تضرب الأمثال بقوانينه وأنظمته وعظمته » .

أنتم ورثتم عن آبائكم بلداً عظيما غنيا ما زال في حاجة إلى التنظيم في بعض نواحيه . ولتكونوا فخورين بهذا الوطن وخصائصه ، ولتكونوا فخورين بحاجته إليكم ، وبما لا يروقكم فيه . ولتكونوا فخورين لأنكم وجدتم في هذا العهد الذي تستطيعون أن تقوموا فيه بالخدم اللازمة ! كذلك تسبرون غور مقدرتكم ، ومبلغ تأثيركم ، وتعرفون مقدار قيمتكم الأدبية أفراداً وجماعة !

عيدكم عيد الوطن ، وعيد نشاط الوطن . صيحوا بأصواتكم الفتية بوجوب توزيع إنتاجه من كل نوع وكل صنف وكل فصيلة ، اهتفوا في قومكم أن اجعلوا أثوابكم مصرية ، وأثاثات منازلكم مصرية ، وزينات حياتكم مصرية ، لتهيئوا وسائل العمل والرفاهة لملايين الأيدي المصرية .

رددوا أن خذوا عن الآخرين ، واقتبسوا ، وحصّلوا ، على أن تمصّروا كلَّ ما تحصّلون وتقتبسون وتأخذون ، فينقلب كلٌ منكم اسكندراً خلّاقاً في بابه !

* * *

فتيان مصر ، فتيان الوادي الأخضر !

عيدكم رأس سنة جديدة ، بل هو مطلع عهد جديد !

هو مطلع العهد الذي تسمون فيه إلى تمصير حاجاتكم . فلا يكفي أن تكون مصر للمصريين ، بل يجب أن تكون مصر مصرية !

ولكم الفضل ، بلغت البلاد إلى هذا الشأن الخطير . إن لتربة بلادكم هذه خاصة سحرية في تحويل كل غريب عنها إلى جزء منها . فكم ذا تصبح هذه الخاصة فعالة إذا ما أنتم عالجتموها بما نراه منكم من ذكاء وإدراك وهمة وحماسة وحيوية !

عيشوا تحقيقاً للرجاء الذي يجعل واديكم دائم النضرة ، ويجعل علمكم دائم الخضرة !

ولتعش مصر مصرية !

م . ن .

كيف نحافظ على وجودنا الاقتصادي؟

للاستاذ محمد فريد وجدى

الثروة للامم - والثروة الاجتماعية تطلق على النقود المكوكة وكل ما تثمره الأرض وتنتجه اليد العاملة - كالدم الذي يجري في الجسم الحي ويوزع على كل عضو بل وكل خلية فيه ما يقيم حياتها ويجعلها صالحة لأداء وظيفتها . والطرق التي تتحول فيها هذه الثروة لاعطاء كل فرد نصيبه منها تشبه بالشرايين والاوردة من الجسم الحي

واذا كان لا حياة لجسم بدون دم ، فكذلك لا حياة لأمة بدون ثروة . واذا كانت صحة ذلك الجسم تتطلب دما كافيا حاصلا على جميع مقوماته البيولوجية ، فكذلك الثروة الاجتماعية يجب أن تكون كافية لحاجات المجتمع وحاصلة على العناصر التي تتطلبها حياة الاجتماع .

واذا كانت تستتبع قلة مقدار الدم في الجسم الحي وفساد تركيبه أدواء عضالة من الانيميا والكلوروز وما يجران إليه من العلل المترتبة عليهما ، فكذلك عدم كفاية الثروة الاجتماعية تولد لهيئة المجتمع أدواء من الضعف العام ومن الاضطراب في وظائفه يصبح المجتمع معها عرضة لكل ضروب المتالف فيجمد حيث هو ، أو يختل توازنه ، أو يعتل وجوده ، ويصبح لا يغني عن نفسه شيئا .

لهذا السبب قام ازاء أطباء الاجسام في كل أدوار الامم أطباء للاجتماع تولوا تدبير الثروة العامة بضروب شتى من الوسائل ،

وإطلاء الاجماع اليوم أكثر تبعات مما كانوا عليه في سالف العصور بسبب تعقد المبادلات بين الأمم، ومزاحمة الأسواق بعضها لبعض، وتشابك الصلات المالية بعضها ببعض، اصبح علم الاقتصاد من أوسع العلوم اختصاصا واشدها تركبا. وها نحن أولاء نسمع جؤار الشعوب تحت كلاكل هذه الازمة العالمية، ونشهد جهاد الاقتصاديين في علاجها مما لم يتفق مثله للبشر في أي عهد من عهودهم: فاذا كنا لا نعتبر بكل هذا فنتوفر على درس هذه الحالة فيما يختص بنا توفرا يناسب احوالنا الحاضرة فانما نجنى على انفسنا جناية نحاسب عليها حسابا عسيرا، ونذوق وبال أمرنا منها جزاء موفورا.

وأول ما يجب أن ندرسه من مسائلنا الخاصة هو أن نعرف هل ثروتنا العامة التي تثمرها أرضنا وأيدي عمالنا تكفينا الحاجة أم لا؟ وهل هذه الثروة توزع على جميع أفرادنا أم لا؟ وهل يتسرب منها شيء الى الخارج، كان يجب أن يبقى لدينا أم لا؟

هذه المسائل الثلاث يجب ان تشغل كل فرد من أفراد مجتمعنا على السواء، ولا يجوز ان تقتصر على الذين يشعرون بالحاجة المعيشية فقط، لأن الضعف والاعتلال اللذين يعتوران مجتمعنا لا ينحصران في الطبقات المحرومة من الثروة ولكنهما يعمان الكافة، فيكون نصيب أصحاب الأموال أشد مما ينال صغار الناس منهما. أما ترى اليوم ماذا أصاب أصحاب رءوس الاموال الطائلة من البؤس والاقلال بسبب الأزمة الحاضرة، حتى ان صاحب مئات الفدادين أصبح لا يجد ما يقوت به نفسه، وتعرضت أملاكه للبيوع الجبرية؟ ومنهم من تجرد من جميع ما كان عنده فأصبح معوزا لا يملك شروى نقير ولا يصلح لأي عمل! وما ظنك لو اشتدت وطأة هذه الازمة أو امتد عهدها سنتين اخريين أو ثلاث سنين اخرى؟ دع مصرجانبا وانظر الى أعلى الامم كعبا في الثروة والمدنية، ألم تجد الاحوال فيها شرا مما نحن عليه. ألم توصد عشرات من المصارف أبوابها. ألم تسد منافذ الارتزاق في وجوه الملايين من أبنائها؟ ألم ينضب معين الثروة في خزائن حكوماتها فاضطرت لضرب الضرائب الفادحة على مموليها؟ ألم يتناول الضغط على نفقاتها مرتبات موظفيها فاسقطت نحو الثلث من مرتباتهم ولا تزال تتهددهم بتخفيضات جديدة؟

هذه كلها عبر يجب علينا أن نتأمل فيها، وان نعمل على تلافيها.

واذا كان الأمر من الخطورة عند هذا الحد أفلا يكون أوجب الواجبات أن نحاول ألا يتسرب قرش واحد الى خارج بلادنا الا اذا كان في حاجة ماسة، ولضرورة قصوى؟ وهذا ما تفعله كل امة وتتشدد فيه اليوم شعورا منها بان دولاب الاعمال مادام معطلا وحركة المبادلات بطيئة، وجب أن ينحصر مال الامة في بلادها حتى لا ينضب معينه فيها فتصاب بأشد ضروب الاعسار ولا كرامة

وما دمنا قد شبهنا ثروة الامة في مجموعها بدم الحياة للفرد الواحد، فقد ساغ لنا ان نشبه خروج تلك الثروة من بلادها دون أن تستعيض عنها من طريق المبادلات ما يعادلها، بداء النزيف الدموي. فالأمة التي لا تبالي في مثل هذه الاحوال بتسرب ثروتها الى خارج ديارها، يكون مثلها كمثل فرد أصيب بالنزيف وحكم عليه فوق هذا ألا يستعيض عما يفقده من دمه بتناول المواد المعوضة.

ولست استطيع بعد هذا ان احمد تبعة من يتجارأ على تبديد ثروة البلاد خارجها بالتعويل على الواردات الاجنبية التي يجد في بلاده ما يقوم بحاجته منها، وقد يكون ما يجده منها في بلاده اقل جودة، أو لا يفي بمرامه من كل وجه. فهل يجوز أن يحمله ذلك على الانصراف عنه محولا جزءا من ثروة الأمة الى ثروة أمة اخرى، في وقت هي احوج ما تكون الى المعونة والمساعدة، وهل يرضى لنفسه أن يكون فتقا في شرايينها ينزف منه مقدار من دمها هي احوج ما تكون اليه في ضعفها وقلة حيويتها؟

يخيل الي أن وطنيا لا يرضى لنفسه أن يكون سببا في هذا الشر المستطير لو وقف على جلية هذا الأمر وادرك خطورته على امته وعلى نفسه أيضا.

فليحرص كل منا على القيام بواجبه من التعويل على مصنوعات بلاده وترويجها بكل ما أوتيه من قوة.. لاننا لا نستطيع أن نحافظ على كيان بلادنا في معمعان هذه الازمة العالمية الطاحنة الا بهذه الوسيلة، وهي طوع ارادتنا، ومن مقدورنا، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. والسلام؟

محمد فريد وجدي

الصناعة عنوان الحضارة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

للأمم « معامل » تصنع فيها المصنوعات المعنوية من شرائع وسياسات وأخلاق وعادات كما تصنع فيها المصنوعات المادية من أنسجة وأحذية وأقمشة وآلات. ولا تقل هذه دلالة عن تلك على مبلغ أصحاب « المعامل » من الارتقاء العقلي. بل ربما كانت المصنوعات المادية أدق في التعبير عن ذهنية الأمم من المصنوعات المعنوية لانها محسوسة ملموسة تقبل الموازين. وأما تلك فهي أوضاع ومقاييسها معنوية مثلها.

ولكل عصر من العصور طابع خاص بالصناعة التي راجت فيه. فعصر الفروسية مثلا — وهو من أقرب العصور التي عرفناها — امتاز بصنع اللجم والركب والسروج كما امتاز عصرنا بصنع المحركات للسيارات والطيارات وآلات الزراعة. وقد أحب الفرسان الخيل والعدو على ظهورها وعقدوا بناصيتها الخير فتفننوا في الأدوات التي تلازم ركوبها. وأما نحن فقد فتنا بالسرعة واستخراج أعظم محصول بأقل مجهود فبرعنا في عمل « الموتورات ».

نحن في الشرق من أسبق الأمم الى عمل المصنوعات بالمئين

المتقدمين ، لكننا تراجعنا فيهما كليهما ، فحلقات الدروس وما يجرى فيها من بحث عن موضوعات عقيمة سخيفة بالية وهي لا تقاس بما كان عليه السلف في العصر العربي الذهبي، تدل على هذا التراجع كما تدل عليه المصنوعات المرذولة الخالية من المتانة والذوق والمعروضة في الاسواق والحوانيت . وزيارة واحدة لمكتبة من المكاتب الكبرى في دمشق أو بغداد أو القاهرة وتقليب صفحات من بضعة كتب من الكتب المصفوفة على رفوفها هي مثل زيارة لمتحف من متاحفها والقاء نظرة على ما يعرض فيه من النفائس ـ فيها المقنع الكافي على صحة ما قلنا .

وقد دخلنا الآن في دور النهضة وبلوح لي اننا سبقنا الى مباشرة المصنوعات المعنوية ، ولكننا من حسن الحظ أخذنا أخيراً في مباشرة المصنوعات المادية أيضاً كما تشهد المعامل والمصانع الحديثة المنصوبة في هذا القطر السعيد وما جاوره من الاقطار العربية الشقيقة .

ولا أعرف حافزاً دفع الامم الى الأخذ بالصنائع مثل الحرب العامة ، فقد كان من نتائج الحصار التي عانته الشعوب في غضونها وانقطاع أسباب المواصلات بينها ان التجأ بعضها الى مصنوعات تكاد تكون من عمل القرون الخالية ، ولا أزال أذكر كيف أن انقطاع الثقاب والنفط (الكاز) عن سورية مثلا في سني الحرب العالمية عاد بالاهلين الى استعمال القداحة وسراج زيت الزيتون . وكان هذا الحافز أشد ظهوراً في الحاجات والادوات يتوقف عليها تسيير دفة القتال كما هو ظاهر من اخفاق روسيا العزلاء في هجومها المتكرر على المانيا والنمسا وتركيا وخروجها من الحرب أخيراً على تلك الحالة المزرية منكسة الإعلام

لا جرم أن الامم التي شعرت يومئذ بنقص مصنوعاتها وتعلقها على غيرها من الامم وارتباطها اقتنعت بعد هذه الدروس الخطرة المطلوة بالكوارث ان لا بد لها من الاستقلال الصناعي وهو لا يقل شأنا عن الاستقلال السياسي ، بل لا يتم هذا بالمعنى الصحيح من غير ان يتحقق ذاك . لان الامة التي تنتظر غيرها أن يعمل لها البنادق والمدافع للدفاع عن حوزتها هي امة غير مستقلة في أهم شؤونها .

وزاد الشعور بهذه الحاجة تلك الوطنية الاقتصادية الحديثة التي تحاول أن تصدر كل شيء وألا تستورد شيئا ، وما هذه الحواجز الجمركية القائمة بين الشعوب الا عنوان هذه الوطنية الصارمة ، ويكون جزاء الامة المتساهلة في هذا الباب اغراق أسواقها بمصنوعات غيرها واختناقها بمصنوعاتها ، وعرفت انكلترة من بين سائر الامم بالميل في تجارتها الى « الباب المفتوح » ولكن حوادث الزمن أرغمتها على اغلاقه كما علمت غيرها أن تكون متشددة ؛ وما لم يقم التفاهم مقام التنازع ـــ وهذا مستبعد في الاحوال الحاضرة ـــ فان هذه الحواجز ستشتد وتقوى .

ان نهضة مصر الصناعية هي مثل النهضة الصناعية في الاقطار العربية الشقيقة تدل على تغيير جوهري في الذهنية العامة وشعور بالحاجة الى الاستقلال والاعتماد على النفس ، وهذا الشعور هو ركن عظيم من أركان الانقلاب السياسي المنشود ، لان الحاجة تفتق الذهن وهي أم الاختراع .

عبد الرحمن شهبندر

البعث

للأستاذ توفيق الحكيم

« حوريس — انهض . انهض يا أوزيريس !
أنا ولدك حوريس . . .
جئت أعيد اليك الحياة .
جئت أجمع عظامك .
وأربط عضلاتك ،
وأصل أعضاءك . . .
أنا حوريس الذي يكوّن أباه .
حوريس يعطيك عيونا لترى ،
وآذانا لتسمع . وأقداما لتسير ،
وأيادي لتعمل . . .
ها هي أعضاؤك صحيحة ،
وجسدك ينمو ،
ودماؤك تدب في عروقك .
إن لك دائما قلبك الحقيقي ،
قلبك الماضي !
الميت — اني حي ، إني حي ! . . . »
« كتاب الموتى »

وحوريس ليس إلا الشباب ، يعيد الحياة إلى ماضيه الميت . نعم هو الشباب الذي يكون أباه الوطن . وقد أعطاه بالفعل عيونا يرى بها غابره العظيم في حريته ، وحاضره الذليل في قيود الغرباء ، وآذانا يسمع بها ضحكات السخرية من أفواه الجبناء الذين جاءوا يحتلون رقاده ويسلبون خيراته . كما أعطاه أقداما يسير بها كي يثبت لهم أنه حي ، وأيديا يعمل بها على تشييد الصرح المهدوم . إن أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو . وها هو ذا جسده يتحرك وينمو ، والدم يجري في شرايينه . والشباب على رأسه يصيح : « ان لك دائما

حركات الشباب

للأستاذ سلامه موسى

ربما كانت أولى حركات الشباب فى هذا القرن حركة الفتيان الكشافة التى ذاعت بين جميع الامم وقد تناولت الصبيان الى سن الشباب وملأت حياتهم صحة لاجسامهم وخدمة للادهم وثقافة فيما يتصل بحياة الخلاء والتجوال

ثم ظهرت حركة اخرى بين الشباب هى الحركة الفاشية وقد اتخذت منذ بدايتها لونا سياسيا وطنيا . واستطاعت هذه الحركة ـ على الرغم من عيوب فيها ـ ان تقوم بالمعجزات فى ايطاليا لرفعة الوطن

وظهرت منذ نحو ست سنوات حركة جديدة هى حركة الفتيان الجوالة . وكان منشأها فى المانيا حيث يخرج الفتى ومعه القليل من الملابس فيجول فى انحاء المانيا ويقضى الليل فى مأوى ريفى صغير لا يكلفه نوما وفطورا اكثر من خمسة قروش . وما يزال فى هذا التجوال يزور المدن والقرى والجبال والسهول بضعة اشهر يرى فيها انحاء المانيا فيعرف بلاده معرفة الخبير الذى عاين احسن ما فيها ويحبها لذلك اكثر ويزداد اماتة فى خدمتها

وقد نشأت عندنا نحن فى السنوات الثلاث الماضية حركة اخرى بين الشباب انطبعت بطابع الحاجات الاقتصادية . فقد رأينا أننا مغبونون أمام الأجانب ، فى التجارة والصناعة ، وأننا من الفاقة بحيث أصبح مزارعونا مثقلين بالديون . وان البلاد كلها تعيش بالزراعة ونكاد نجهل الصناعة وكان شعورنا بالوطنية الاقتصادية ضعيفا . حتى انا فى إحدى السنوات القريبة الماضية اشترينا من الأطعمة ما بلغ ثمنه سبعة ملايين من الجنيهات ، وهذا فى بلاد زراعية كان عليها على الأقل أن تكتفى بنفسها طعاما ان لم تصدر ما يفيض منه الى الخارج

لذلك ما كادت الصيحة الى إيثار المصرى على الأجنبى تعلو الى الشباب حتى أخذها هؤلاء ، وجعلوا منها شعلة لن تنطفىء . فرأينا جمعية المصرى للمصرى ثم مشروع القرش ثم جمعية الاستقلال الاقتصادى ثم مشروع القرش ثم يوم عيد الوطن الاقتصادى

وهذا التنبه العام الى الصناعة والتجارة المصريتين يعزى الفضل فيه الى شبابنا . هؤلاء الشباب الذين يجب على كل منهم أن يكون رقيبا على ثروة البلاد ، يراقب نفسه أولا لا يأكل هو نفسه سوى الأطعمة المصرية . ولا يلبس سوى الأقمشة المصرية ، ولا يؤثث بيته إلا بالأثاث المصرى . وقد نحتاج الى بعض البضائع الاجنبية ولكن يجب علينا عندئذ ألا نشتريها إلا من التاجر المصرى ؛ ثم بعد ذلك يراقب غيره حتى يكون داعية للصناعة المصرية فينصح لأصدقائه ويطلب من زعمائه أن يتخذوا الملابس المصرية

وعيد الوطن الاقتصادى هو يوم نخصه للدعاية . ولسنا نعتقد ان فى البلاد خصما واحداً لهذه الدعاية التى يقوم بها شبابنا لكى يكسونا كرامة اقتصادية ما أعظم حاجتنا اليها فى هذه الأيام السود التى تباع ممتلكات الفلاح فيها بيع السماح بل بيع الجبر فى سوق الدلالة ؟

سلامه موسى

قلبك الحقيقى . . . قلبك الماضى ! . . » . ويخيل إلى أنى أسمع الوطن من كل جانب يلبى النداء ، ويجيب الشباب الأبناء : « إنى حى ، إنى حى ! » إنى دائما أومن بأن مصر لا يمكن أن تموت . لأن مصر منذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف السنين لهدف واحد : مكافحة الموت . ولقد فازت مصر ببغيتها . وكلما ظن الموت أنه انتصر قام حوريس من أبنائها يصيح : « انهض ، انهض أيها الوطن ! إن لك قلبك الحقيقى دائما . . . قلبك الماضى ! » وإذا الموت يتراجع أمام صوت داو من أعماق الوطن : « إنى حى ، إنى حى ! »

لست أعجب الآن لصيحات الشباب ومشروعات الشباب ، فهى صيحات حوريس يوقظ أباه . إنما عجبى لادراك الشباب أن أقوى مظاهر اليقظة هى : النهضة الاقتصادية : هى الدماء السخية التى تجرى فى جسد مصر فتية قوية . مرحى للشباب ! هذا الابن الحق . لقد فهم سر الحياة ، كما فهمها حوريس . وبارك الله فى عيد الوطن الاقتصادى ، فهو اليوم الذى سيردد فيه الوطن ، وهو ناهض على قدميه . . وهو ملوح بيديه ، صوته الخالد : « إنى حى ، إنى حى ! »

توفيق الحكيم

الى تجار مصر وصناعها

عيد الوطن الاقتصادى يسعى لخيركم ويجاهد فى سبيل انصافكم . يريد أن يجعلكم قبلة الجمهور وموضع تعضيده وايثاره ويبذل لتجارتكم وصناعتكم رعاية يغذيها أمل أمة وجهد شباب .

فهل ساهمتم بنصيبكم فى ساحة هذا الجهاد ؟ ـــ سارعوا واشتركوا فى الدليل الجامع . ـــ سارعوا واشتركوا فى المهرجان والموكب . ـــ سارعوا وانتهزوا فرصة هذا العيد ليتولى متطوعو المشروع ومتطوعاته تصريف بضائعكم . .

اطلبوا الاستمارات الخاصة بذلك من مقر اللجنة التنفيذية لعيد الوطن الاقتصادى بنادى الجامعة المصرية ٢٢ بشارع المناخ تليفون ١٨ ـ ٥٠٥

بين الشرق والغرب

لسكرتير لجنـــة الدعاية

قرأت لزميل نقداً مضاً مريض الحجة ينصب على الجامعة فى غير روية ولا أناة . فما التقيت به حتى أخذت فى لومه والعتب عليه مستكثراً منه أن يطعن فى معهد يظله ويحوطه . فبرم بموقفى من نقده ، واستشاط حماسة وانطلق يقول : إن القلم الذى لا يستطيع أن يجهر بالحقيقة من ضيق العواطف ، ويكفل لها ساحة رحبة النطاق ، واسعة الأفق لهو قلم كليل قصير الأجل لا ينتظر له خلود . . واليوم الذى ترى فيه الجامعة طلابها وقد ملأتهم الجرأة فى سبيل الحق وسكن فى قلوبهم استقلال الرأى ، لهو اليوم الذى يؤمن فيه الناس بأن الجامعة قد أدت رسالتها على أكمل وجه وأتم صورة . . . وانطلق الزميل فى بسط فكرته تحت تأثير عاطفة قوية وميل جامح . . !

فقلت له إن الجامعة موطن علمك ومعين ثقافتك . فمن حقها عليك أن تتولى الذود عنها إن حاق بها اعتداء أو أصابها ضر . فإن قعدت عن حمايتها فلا أقل من أن تحجم عن الاشتراك فى هدمها . وتتورع عن المساهمة فى طعنها والحط من شأنها . ولو صح استقصاؤك لما فيها من سوءات لما جاز لك أن تطله على هذه الصورة القبيحة المزرية التى تخفيها تحت ستار حرية الفكر ، واستقلال الرأى . . وما الى ذلك من ألفاظ لها قداستها التى خفيت عنك حدودها . وتوارت عن بصيرتك معالمها . وقداسة الحقيقة ياصاحبى لم تطلب إليك استقصاء السوءات والتغافل عن الحسنات . .

ولكن الزميل كان فى ثورة حماسه لا يملك إلا الإيمان بفكرته وتسفيه مايذهب إليه خصومه ، فطال بيننا الجدال على غير جدوى .

وفى الأسبوع نفسه قدر لى أن أستمع الى مؤرخ انجليزى عالمى يحاضر فى مواقف مرت بوطنه فيلتمس له الأعذار فى « حرق جان دارك » ونفى نابليون . . ! !

هذه هى الهوة التى تفصل بين منطق الكثيرين من علماء الغرب الأفذاذ . وذهنية أكثر الناشئين من شباب الشرق المغبون — هوة تعيش فيها آمال عرجاء . وتحيا فى ظلامها مطامح جرباء . هناك قد « يختلقون المناسبات » ليملأوها دفاعا عن وطنهم . وذودا عن حرمته . واشادة بمفاخره . . بل ربما لا « يتورع » العالم عن أن يتخذ العلم أداة يسخرها لخدمة مآربه القومية وقضاء شهوته الوطنية . . ! !

وهنا يختلق بعض « شباننا » المناسبات ليتناولوا فيها أنفسهم ووطنهم ومعاهد علمهم بالطعن والتجريح . . ! !

وهذا الفرق — فيما أرى — من أعظم العناصر التى تميز بين عظمة الغرب الفتية . . وحالة الشرق المريضة

لهذا ينبغى أن يطرب المصريون لهذه الثورة القومية الوديعة التى يقوم بها شباب عيد الوطن الاقتصادى . لأنها تعالج النقص الذى تنطوى عليه نفوسنا ؟

« ت . الطويل »

كلية الآداب

نشـــــيد

فى عيد الوطن الاقتصادى

وطنٌ دعانا فاستجبنا   وبكم بنى مصر أهبنا

جدد التزيل وقد أهبنا   وبكل ميدان علينا

وطئ الدخيل على الأصيل !

آباؤكم سادوا وشادوا   وعن الحمى ذادوا وذادوا

زرعوا وفاتكمُ الحصادُ !   ونأت عن الثمر البلاد ! !

وجنى المُغَلِّبُ والنزيل !

فى الحق صيحاتُ الشباب :   لا ننثنى حتى نجاب !

ولسوف نكتسح الصعاب   إن سُد باب دق باب !

ولدى سرانا المستحيل

جولوا بوادى النيل جولةْ   وامضوا لمصر أو المحلةْ

فهناك للصناع دولهْ   وهناك تُلتَمس الأدلهْ

وهناك مجدكم الأثيل ،

المال فى يدكم أمانه   من مصر كدستم جمانه

أنُسَرُّ إذ تبكى الكنانه   ونظل لا نولى إعانه

ونقرُّ بالبلد الذليل ؟ ؟

إنا دعائم الاقتصاد ،   ودعاة مصر الى الجهاد ،

ندعو الى العمل البلاد ،   ما دون غايتنا ارتداد

والى الأمام لنا السبيل !

الزقازيق   ابراهيم مأمون

نداء اللجنة التنفيـــذية

للأستاذ عبد الله فكرى أباظه

رئيس اللجنة التنفيذية

بنى وطنى !

عزم ثابت لا ونية فيه، وحزم نافذ لا رجعة فيه لرأى بعد اقراره. ذلك حال الشباب الذى أخذ على نفسه أن يحيى للوطن عيداً يقيم فيه مهرجاناً يخرج منه موكب يجمع صناعاتنا المصرية لتباهوا من رؤيتها العين، وتستوحوا شتيت الذكريات .. فبلادنا اليوم فى عسر شديد .. خرج بها اليأس عن أن يجد بنوها حتى من الدمع عزاء .. ولا من نضال الحياة جزاء .. الا أن الله القدير جعل لكل عسر يسراً، ولكل ضيق سهلا، وخلق العزائم على قدر المصاعب ..

سينطلق فى أيام العيد الثلاثة حضرات المتطوعات والمتطوعين من أبناء مصر يحملون ما تيسر حمله من صناعة بلادهم، يدعون إليها ويفاخرون بها. فيدلونكم بذلك على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. وسيوزعون عليكم دليلا احصائيا يحوى أسماء المتاجر والمصانع الوطنية، يكون بين أيديكم هدى ومناراً، وقد أخذت صناعة مصر وتجارتها تحبو تبتغى النهوض بعد أن طال بها الرقاد لتستعيد سيرتها الأولى

ايها المصريون :

قد اجتمع لوطنكم من الخيرات ما تستحقون من أجله الغبطة والحسد، ولكن الازمة تحيط بكم والضيق يكتنفكم والفاقة تمشى فى بيوتكم، ولا يغرنكم أن الصناعة والتجارة فى دورها الاول يهددها البلاء ويرقبها الفناء. إن لم تجد من العون والتعضيد ما يزيدها أملا على النهوض ويبعث الى روحها القوة والرجاء.

إن يوم العيد بمثابة الناقوس يعلن المخلصين بدء الجهاد الاقتصادى، ليقبلوا على صناعة البلاد ومتجاتها، مستعذبين مسترخين كل جهد وعناء.

أيها المواطنون.

إن مضمار الوطنية يوم العيد، ومن بعده سباق، فاصبروا فى ميدان المصرية صبرا جميلا، واعملوا عملا حثيثا، فان يوم العيد يراه القاعدون بعيداً، ويراه المؤمنون الثائرون قريبا ..

رســـالة المشروع

دين المصرية

لسكرتير المشروع

حق أن يدعو عيد الوطن الاقتصادى الى صناعة مصر وتجارتها، فليس أسمى من دعوة تحمل فى طياتها كل ألوان الخير لبلد تتعاون عليه كل أساليب الشر؛ وحق أن ينشد هذا الغرض ويسعى الى هذه الغاية بأن ينظم لنا عيدا كل عام، وأن يصدر فيه دليلا بأسماء متاجرنا ومصانعنا الوطنية القديمة تشجيعا، الجديرة بعطفنا وإيثارنا، وأن يقيم مهرجانا صناعيا، تنصب فيه أسواق الصناعة المصرية، وتسعى فيه مواكب الدعاية للصناعة المصرية، ويفسح فيه للقومية المصرية وحق أن يدعو الشباب المتطوع من جنود الفكرة الاجاد الى أن يبدوا أنفسهم فى اعزاز صناعة بلدهم: فيلبسوا من قطن مصر الخالص لباسا مرتداه الشرف بعينه: بدلة رمادية وأقمصة صافية الزرقة، لا تقتضى اللابس أكثر من قروش معدودات تعلن عن متانة الصناعة المصرية ورخصها، وتفيض على صاحبها راحة فى الضمير، وتسكب فى قلبه هدوء الاطمئنان الى أداء الواجب. حق كل هذا، ولكن أى أثر يكون من وراء هذا كله؟ أيقف الامر عند تشجيع صناعتنا والدعوة اليها؟

رسالة عيد الوطن الاقتصادى اعمق اثرا، وأرحب افقا، وأوسع مجالا، وما هذا الا مظهر لما تسعى إليه، انها تبغى أن تبشر فى الناس بدين المصرية الكريمة، وتحملهم على الايمان بها والاعتقاد فيها، تبغى ان يعيش المصرى عزيزا فى مصره، فخورا بها، هاتفا لها فى كل لحظة وفى كل آن، ولو تضافر عليه باطل هذا الوجود كله يريد أن يسد الفم ويقطع على الصيحة سبيل الانطلاق.. انها تبغى أن تمكن لمصر من عناصر السيادة والسلطان، بعد أن طال بها القعود على المذلة والسكون الى الهوان ...

يريد عيد الوطن الاقتصادى، أيها الشبان، أن يتعجل اليوم المشرق السعيد الذى يجب أن تعيش فيه مصر للمصريين..

على عبد العظيم

كلية المتوفى



آلة الزمان

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سأقص حديثاً عجيباً . من شاء أن يصدقه فانى أشكره مع تقديرى أنه إنما يصدقنى لاعتقاده أنى لا أكذب ، وأما إذا شاء أحد أن يكذبنى فله أن يفعل وهو معذور . فان الناس لا يصدقون ما يرونه بأعينهم ، ولا سبيل إلى أن أريهم ما رأيت ؛ وقد آثرت أن أذكر فى حديثى هذا كل الأسماء على حقيقتها حتى اذا عرف أحد بعض هذه الاسماء ساعده ذلك على تصديقى ، إذ ليس من الممكن أن تبلغ بى الجرأة على الحق أن أذكر أسماء الناس علنا فى صحيفة سيارة وأنا كاذب فى قولى : أصبت فى وقت من الاوقات بضعف فى الاعصاب من الجهد المتواصل والهم المضنى ، فوصف لى بعض الأطباء أنواعا من الرياضة . ولكن أبى الله أن يخلصنى من ذلك الملل . فقد زهدت فى رياضة الصيد اذ رأيت فيها قسوة ومثلة ووحشية ، ثم زهدت فى السباحة لأنى لم أجد مكاناً منعزلا ملائماً أنزل إلى البحر فيه فى أثناء الصيف ، لأن جسمى ليس بالجميل ، وثياب الشواطىء كما لا يخفى على أحد مهلهلة تصف الأجسام على حقيقتها ، ثم مارست ما سوى ذلك من أنواع الرياضة حينا فأصبت بضعف فى رجلى فلم أستطع متابعة هذا السعى ، لأن الرياضى لا يليق به أن يظلع . ولكنى جعلت أبحث عن تسلية ملائمة فوفقت إلى اختراع اخترعه انجليزى بارع وهو المؤلف المشهور (هـ . ج . ولز) . وكان لاختراعه هذا رجة كبرى فى الأوساط العلمية ، ولكن هذا المخترع يحترف الأدب فأصابته عدة الأدباء فلم يقبل أحد على شراء اختراعه . فغضب حتى حطم النموذج الذى اخترعه وأبى أن يعلنه الى الناس . غير أنه لما بلغه ما أنا فيه من الحيرة بعث الى بوصف اختراعه ، وطلب الى أن أستفيد به ما شئت ؛ ولكنه حرم على أن أطلع أحداً عليه إلا باذنه . فلا يطمع أحد فى أن يسألنى عن سر ذلك الاختراع . ومن شاء فليرسل الى ذلك العالم وليسأله أن يبيح له الاطلاع على النموذج الذى صنعته أنا لنفسى ، فاذا فعل لم أتردد فى إطلاعه عليه . وذلك الاختراع بالاختصار هو آلة دقيقة الصنع تحتاج إلى مهارة فائقة فى الادارة والاستعمال ؛ كما تحتاج الى مواهب خاصة فيمن يريد أن يستعملها . وأحمد الله اذ كنت ممن منح هذه المواهب الخاصة ، وهى مصنوعة من معدن لا يزال عجيب الخواص مجهول الكنه ، ومن خواصه التى عرفت الى اليوم أنه شفاف ولا تبصره الاعين فى ضوء النهار الا إذا وضع منظار من نفس المعدن على الأعين . ولهذا يسهل على الانسان أن يترك الآلة المصنوعة منه فى أى مكان بغير حارس ولا يخاف عليها اللصوص أو من عبث المارة .

ولا حاجة بى الى الاطالة فى وصف هذه الآلة ؛ ويكفينى أن أذكر اسمها وقد يكون بعض القراء قد سمع به من قبل وهى (آلة الزمان) ، واسم هذه الآلة يدل عليها وعلى الغرض منها . ومن أراد التوسع فى فهم أغراضها ونظرياتها وطرق إدارتها فعليه أن يستأذن صاحب اختراعها كما أسلفت فى أول هذا الحديث .

هذه الآلة بالاختصار عبارة عن حجرة صغيرة لها جدران شفافة من المعدن الذى وصفته ، وفيها مقعد واحد لا يسع الا رجلا واحداً . وفى داخلها أمام المقعد مفاتيح كثيرة يتحرك بعضها الى أعلى وبعضها الى أسفل وبعضها الى اليمين والبعض الى اليسار وهكذا فى جميع الابعاد التى يتصورها الذهن ، وفى وسطها عجلة كبيرة تدور إذا قبض عليها الانسان بيده وضغط عليها قليلا . فاذا أمال يده نحو اليمين دارت يمينا ، واذا أمالها نحو اليسار دارت يساراً . وهذه العجلة هى أم الآلات فى تلك الحجرة . فاذا ما لمسها الانسان وضغط عليها دارت دورانا شديداً ، فاذا بالحجرة كلها تدور دوراناً شديداً ، ثم اذا بالجالس على الكرسى يعتريه دوار شديد ويفقد الحس حينا من الزمن ثم يصحو فينظر الى ما حوله فيرى مناظر غير المناظر التى كانت حوله قبل أن يدير العجلة . لا بل انه يرى مناظر ما كان علم بوجودها قبل أن يضع يده على تلك العجلة .

والذى يحدث باختصار عند ضغط العجلة أن الانسان اذا مال يده نحو اليمين دارت الآلة ، وتحرك لسان على لوحة أمام الجالس

فيهبط الى أسفل . وعلى تلك اللوحة أرقام كثيرة . وعند ذلك ينتقل هذا الشخص الجالس فى الآلة بطريقة عجيبة يطول شرحها — ولا أسمح لنفسى أن أذكرها بغير اذن — فاذا ذلك الجالس ينتقل على السنين نحو الماضى فيذهب الى العصور الماضية ويرى نفسه يمر على السنوات الغابرة عاما فعاما . وكلما انتقل من عام الى عام قبله تحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنة . وأما اذا كان ميل الضغط نحو اليسار فان اللسان يتحرك على اللوحة الى أعلى . فاذا بالجالس فى تلك الآلة ينتقل على السنين نحو المستقبل فيذهب الى العصور المقبلة ويرى نفسه فى غمار الحياة فى الاجيال الآتية . ويتحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنوات المقبلة . حتى الآن ما ذكرت من وصف الآلة فانى أخشى من بعض أساتذة الجامعة فى كلية العلوم أن يفطن اذا أطلت الوصف فيعرف سر هذه الآلة من ثنايا قولى بوساطة بعض طرقهم العلمية المذكورة من الارتماطيقى والماتماطيقى والفيزيقى والميقانيقى . أو غير ذلك من العلوم التى لا علم لى بها . فانهم لو فعلوا ذلك لأوقعونى فى ورطة . اذ أكون قد خدعت عن سر لا أملكه ولا يحل لى التصرف فيه . وقد كنت اذا شعرت بالسأم يدب الى نفسى أنهض الى هذه الآلة فأجلس فيها وأدير العجلة الوسطى نحو اليمين فاذهب فى العصور الماضية الى حيث شئت . وقد كنت اختار دائما تلك العصور الماضية لانى شديد الحنين اليها لانى لست ممن يرتاحون الى الوقت الحاضر ، ولا يرون فى الحال الماثلة حولنا شيئا ترتاح اليه النفس أو يطمئن اليه القلب . فالناس فيه : شيوخهم فيهم وهن ، وكهولهم فيهم حرص ، وشبانهم فيهم طراوة ورخاوة .

ولا فائدة فى أن أعيد الى القارىء مناظر تلك العصور الماضية ، فهى ماثلة مصورة فى كتب التاريخ اذا كانت غير ماثلة مع الاهواء . وكنت أجد ما أحببت من السرور بالتجول فى تلك العصور ، اذ كنت أشبع كبريائى بما أراه من مجد الآباء والاجداد ، وكنت اذا رأيت منظرا يؤلمنى فى عصر من العصور أسرعت بادارة العجلة التى أمامى فأنتقل مسرعا حتى أبصر مناظر جديدة فى عصر آخر فأوقف العجلة وانزل من الآلة وأتجول فى أنحاء ذلك العصر حتى امتلىء سرورا ، ثم أرجع وأدير العجلة فاعود الى عصرى ومثلى خوف أن يقلق أهلى اذا أطلت عنهم غيبتى . وقد وقعت عينى مرة فى أثناء عودتى الى عصرى على منظر استرعى انتباهى فأوقفت العجلة مسرعا ثم نزلت من الآلة لأشاهده . فقد رأيت رجلا من عامة أهل الريف واقفا فى وسط ساحة قريبة من (ميدان الاوبرا) وقد أخذ بتلابيبه رجل على رأسه قبعة قذرة وهو ضخم الجسم ولكن وجهه بشع المنظر . وله عينان كأنهما عينا ذئب مفترس ، وله أظافر طويلة ليست كأظافر بنى الانسان بل هى قريبة الى أظافر النسور مقصوصة طويلة مدببة . وقد وقف حول الرجلين جماعة من أمم مختلفة ، ولكن أكثرهم من أولاد مصر القاهرة ممن يسهل اجتماعهم حول أية ضجة تثور فى طريق من الطرق . وهم لا يقصدون بذلك الا اشباع رغبة الاستطلاع وإفساح المجال الى دعاباتهم المحببة اليهم ، وثرثراتهم الصادرة عن طيبة بالغة فى قلوبهم . فوقفت بينهم وأنا ممتلىء مثلهم رغبة فى الاستطلاع ، ولا فرق بينى وبينهم إلا أنى لم أكن عند ذلك مستعدا للدعابة ولا للثرثرة . وبعد هنيهة علمت أن ذلك المرابط دائن لذلك الريفى وأنه قد استولى على كل ماله فى الريف حتى الجأه الى أن يهرب الى القاهرة لاجئا الى أزقتها وجدران مبانيها متخذا الاولى مغدى ومراحا والثانية مأوى . وقد استجدى ذلك الفلاح يوما رغيفا فأكل ربعه ودس الباقى فى جيب ثوبه المهلهل جاعلا اياه ذخرا يلجأ اليه اذا عضه الجوع فى ليلة لم يجد فيها من يطعمه لقمة . فكان جيبه بارزا الى أمام يخيل الى من يراه أنه قد خبأ فيه شيئا ذا قيمة ، وقد أراد سوء حظه أن يلقاه دائنه المرابط وهو على تلك الحال ، فأسرع اليه الشك فى أنه يخفى فى جيبه دجاجة لها بيض ذهبى ، وزاد الشك فى قلبه وغلى دمه عند ماتذكر أنه لايزال له على ذلك الريفى مقدار من المال . فقال فى نفسه « يا للعدالة ! أأكون دائنا لذلك الريفى ولا أستطيع أن أحصل على دينى منه ؟ وها هو ذا يسير طليقا وفى جيبه دجاجة تبيض الذهب ؟ » وما هو إلا أن قال ذلك فى نفسه حتى اندفع اليه وأمسك بتلابيبه . وما هو الا أن فعل ذلك حتى اجتمع من رأيت حولهما من الناس ينظرون ويتكلمون ويمزحون . وقد أراد ذلك المرابط أن ينزع عنه ثوبه المهلهل ليرى ما معه فأبى الرجل الريفى خجلا من أن يرى الناس جسمه المشعر عاريا ، فتشبث بالثوب وعلا النزاع بين الرجلين حتى بدأ النظارة يتدخلون بينهما . ووقفت أنظر ما يؤول اليه أمر هذا النزاع ، فما هى الا برهة حتى رأيت الجميع يتألبون على الريفى حتى نزعوا عنه ثوبه ، يبحثون عن الدجاجة ذات البيض الذهبى . فلما تم لهم ذلك المسعى لم يجدوا الا رغيفا مقطوع الربع مهشم الباقى . فلما رأى الرجل المرابط ذلك لم يرض أن يرجع من هجومه ذلك خائبا ، فأصر على أن يأخذ الثوب المهلهل ويترك الرجل عاريا ، ثم فكر فى اخذ الرغيف ولكن نفسه عافته ، وظن أنه لن يجد له شاريا فتركه وقال : « عليك ان تشكرنى أيها المماطل لانى تركت لك ذلك الرغيف تأكله وتملأ به بطنك وتنام فى حين أنى لا اتقاضى منك دينى . يا للعدالة ! »

قال هذا فبدت على كثير من الحضور ووجوههم علامة الاعجاب والموافقة ولم يتكلم واحد منهم كلمة . ولكنى كنت حديث العهد برحلة فى عصر ماض من عصور مجد بلادى وكان قلبى ممتلئا كبرا واعتدادا بنفسى . فأنفت أن اترك مواطنى فى هذا البلاء . فتقدمت نحوه وقد غلبنى الغضب على الصمت وقلت للريفى بصوت عال . « هل لك أيها المسكين أن تشترك معى فى استرداد ثوبك بالقوة ؟ »
فنظر الرجل الى نظرة ذات مغزى ثم نظر الى من حولنا وسكت ، فنظرت حيث رأيته ينظر فاذا بالمارة من حولنا يضحكون ويقلبون الثوب وهو مع الرجل المرتطو يهشون ويعضه على شيء من دينه . وكان اعلاهم صوتا رجال مرتطون مثله يبلغون العشرة عدا . فعلمت من نظرة الرجل أنه يرى نفسه عاجزا ولو مع مساعدتى على استرداد ثوبه . ورأيت دمعة تسقط من عينه . وجثا على ركبتيه حياء من تعريض جسمه الضخم المشعر للانظار . وكان فوق ثيابى معطف قديم كنت احتاط بلبسه فى رحلاتى فخلعته صامتا وطرحته فوق منكبيه فكساه الى ما تحت ركبتيه . فنظر إلى صامتا نظرة كدت أبكى من وقعها عندما لاقت نظرى ، وتركته مسرعا وعدت الى الآلة فأسرعت بها عائدا . إلى العصور الماضية أطلب التسلية فى مناظرها . حتى إذا ما سرى عنى ما بى من الشجن أدرت العجلة وعدت مسرعا الى عصرى ودخلت منزلى ، وكان أهلى قد قلقوا لطول غيبتى . ومنذ ذلك اليوم عاودتنى كآبة كانت تظهر فى حديثى وتدل عليها ملامح وجهى حتى لقد لحظها بعض أصدقائى ، وكان فيهم جماعة من الشبان أولى الهمة فجعلوا يسألوننى عن علة مابى فذكرت لهم قصتى فى ذلك اليوم الذى رأيت فيه مارأيته من المرتط والريفى . وذكرت لهم فى قصتى حديث الآلة التى أتجول بها فى العصور الماضية طالبا التسلية من هموم الوقت الحاضر . فقال لى أحدهم واسمه توفيق : « ولكن العجيب أنك لم تفكر يوما فى أن تدير تلك العجلة نحو اليسار » ولم أتنبه قبل الساعة الى أن عجلة الآلة يمكن أن تدار الى اليسار فيكون التجول فى عصور المستقبل بدل أن يكون فى عصور الماضى . فقلت له وفى شيء من الارتباك « انى لم أفطن الى ذلك الا الآن » فأجابنى ذلك الصديق الشاب « انى أعتقد أن السلوة لا تكون أبدا فى العودة الى الماضى . فان الغنى اذا افتقر لا يسليه عن فقره أنه كان يوما ما واسع النعمة راقلا فى الغنى بل ان ذلك أدعى الى أسفه وأسخن لعينه . ولكن الذى يسلى الفقير أن يتطلع إلى المستقبل ليرى أنه سيكون بعد أمله فى راحة وبعد املاقه فى غنى . وكذلك الحال فى السجين ، فانه لا يهدأ قلبه من ذكرى ماضى حريته ، بل ان قلبه يهدأ وأمله يضمحل اذا فكر فى قرب يوم الانطلاق » . والحق أنى لم أتعلم من أحد مثل هذه الحكمة الصادرة من شاب غير مجرب . وقد شعرت بالخجل اذ رأيت أحد أبنائى فى السن يعلمنى حكمة عزبت عن فكرى ، ولكنى أحمد الله على أنى فى هذه الأمور أنزل عند الحق ولا تأخذنى العزة بالاثم . فقلت له « انى شاكر لك تنبيهى الى هذا يا صديقى وسوف أقص عليك نبأ ما أرى » وما هى الا ساعة حتى كنت جالسا على المقعد فى تلك الآلة المحبوبة ووضعت يدى على عجلتها وأدرتها ضاغطا نحو اليسار . فرأيت اللسان يتحرك هذه المرة الى أعلى وقد أشار الى أرقام أعلى من رقم ١٩٣٣ . وقد عرانى عند دوران الآلة دوار شديد لم أشعر بمثله عند تجوالى فى العصور الماضية فلم أفق من الدوار حتى كان اللسان قد بلغ رقم (٢٠٠٠) عندذلك أوقفت حركة العجلة ونزلت من الآلة وتركتها على جانب الطريق الذى وجدت نفسى فيه ، ولم أخش أن أتركها حيث هى وأسير إذ أنى كنت على يقين من أنها فى مأمن من السرقة لأنى كنت واثقا كل الثقة من أنه ليس فى الناس جميعا من يملك منظارا من معدن الآلة فيستطيع أن يراها الا أنا والمخترع الأصلى للآلة وقد سبق لى ذكر اسمه .

سرت بعد ذلك فى طرق عجيبة لم تقع عينى على مثلها ، فهى فسيحة لا يقل عرض أضيقها عن مائة متر .

ويحف بها من جانبيها أبنية شاهقة هى أشبه بما نسمع عنه فى عصرنا الحالى فى أمريكا وهو ما يسمونه (ناطحات السحاب) وكانت حركة الانتقال فى تلك الطرق الفسيحة سريعة عنيفة حتى كنت أخطو الخطوة وأنا خائف أترقب ، وكانت السيارات من كل نوع ومن صنوف لم أر مثلها من قبل فى عصرى الذى أعيش فيه وما كان أشد عجبى عند ما رفعت رأسى الى قمة هذه الأبنية فوجدت فوقها حركة عظيمة من طيور عظيمة تعدو وأخرى تهبط ، ولكنى عجبت أن تكون الطيور فى مثل هذا الحجم وهى على البعد العظيم الذى بينى وبين قمم هذه الأبنية ، وهممت أن أسأل بعض المارين عن ذلك ، ثم رأيت منطادا طائرا يشبه ذلك المنطاد الذى أتى به (اكنر) الى مصر فى العام المنصرم فى عصرنا هذا ، ففكرت فى نفسى قائلا : ألا تكون تلك الطيور طائرات ميكانيكية . ولم يطل بى أمد الحدس والتخمين فقد رأيت طائرا من تلك الطيور يهوى من العلو الشاهق الى أسفل فاذا به يستوى على جانب الطريق واذا به آدمى قد وضع على ظهره آلة ذات جناحين قد ربطها ربطا محكما فى كتفيه وأعلى صدره . فما هبط على الأرض حتى حل الأربطة وعالج الآلة حتى استوت على عجلتين كانتا خفيتين ثم أدار لولبا فى جانب الآلة فاذا

بها تمدو على نمط (الموتوسكل) فى عصرنا الحالى . وعند ذلك فقط عرفت كنه هذه الأسراب الطائرة فوق أعلى الأبنية . ومضيت فى سيرى وأنا أكثر علما بأنى فى عصر جديد وعهد غير ما عرفت فى بلادى وجملت وأنا سائر أتلفت حولى تلفت المذهول المدهش كأنى بعض أهل الريف نزل عاصمة كبرى لأول مرة فى حياته . فقلت فى نفسى إننى أخشى إن أنا بعدت عن موضعى ألا أستطيع العودة اليه فليست هذه مدينة القاهرة التى ولدت فيها وعشت فيها طوال السنين . بل لقد غيرها مر الدهر أى تغيير حتى صارت غير ملائمة لحواسى وأعصابى . وعولت على أن أعود الى الآلة التى حملتنى إلى ذلك العصر المجهول فأحرك عجلتها وأعود من حيث أتيت . وبينا أنا أفكر فى ذلك غير ناظر إلى ما حولى إذ أسرع الى شاب فاختطفنى اختطافا ودفعنى إلى جانب . وما هى الا ثانية بعد ذلك حتى رأيت طائرا من تلك الطيور الآدمية قد نزل فى الموضع الذى كنت واقفا فيه ولولم يدفعنى ذلك الشاب لكان الطائر قد هوى على وحطم رأسى . فلما أفقت من ذعرى خاطبنى الشاب بلهجة اللوم قائلا : « أما ترى علامة انفتاح الطريق أمامك ؟ » فنظرت الى حيث أشار بيده فوجدت أشارة حمراء وسهما مشيرا إلى أعلى فعلمت أن ذلك المكان موضع لمن أراد النزول من الطائرين إلى الأرض وأن الناس قد اعتادوا إطاعة تلك الاشارات الحمراء وتحاشى تلك المواضع . فاعتذرت الى الشاب وشكرته ثم دنوت منه فسألته قائلا : « أرجو أن تدلنى على مكان محطة المترو هنا . فنظر إلى الشاب وتبسم ضاحكا ثم قال : « لقد عرفت منذ رأيتك انك لست من أهل القاهرة » فغضبت لهذا لأنى لا اعتز بشىء اعتزازى بأنى من أبناء القاهرة الصميمين ، وقلت له : « إنى منهم ومنزلى فى مصر الجديدة فى شارع . . » وما كدت أكمل هذا القول حتى ضحك وقال « مصر الجديدة ؟ حقا إنك رجل ظريف تعال معى الى هذا المجلس فانى متعب وقد سرتنى دعابتك . فن أى الارياف جئت ؟ »

قال هذا وسار بى نحو مقعد عام على جانب الحديقة التى فى وسط الطريق . وقد أعجبنى من الشاب شهامته وخفة روحه فكظمت غضبى من إصراره على أنى ريفى ، وذهبت معه وأنا مسرور لأنى وجدت رجلا من أهل العصر الذى دخلت فيه أكلمه وأعرف منه أسرار حياة الناس فى أيامه . فلما استقر بنا الجلوس قال باسما : « أنت إذن من مصر الجديده ؟ » فقلت له متحديا :

« نعم ! أنا من هناك »

قال : « إنى سمعت بهذا الاسم فى التاريخ فى أثناء دراستى فى الجامعة ، ولكن مصر الجديدة اليوم اسمها حى الشركة القديمة . »

فقلت — « حى الشركة القديمة ؟ ولكن ما معنى هذا ؟ »

فقال انى كنت أدرس التاريخ الاقتصادى فى جامعة حوش عيسى وهناك . . . . . »

فلم أتمالك نفسى أن ضحكت هذه المرة متهكما اذ رأيت فرصة للانتقام وقلت : « جامعة حوش عيسى ؟ يالك من مداعب ماهر ! ألا تعرف أنى عشت فى إقليم البحيرة ورأيت حوش عيسى ؟ جامعة حوش عيسى ! » ثم اندفعت أضحك

فقال الشاب متعجبا من ضحكى : « لست أدرى لماذا تضحك ؟ نعم جامعة حوش عيسى . ألا تعجبك مدينة تعدادها اليوم فوق نصف المليون من الأنفس ؟ وهل تسخر من مدينة هى مركز شركات صناعة القطن والحرير والصابون وعجلات السيارات وأجنحة الطيارات ؟ »

فقلت له ضاحكا : « ما أمهرك فى الفكاهة يا أخى ! لعلهم قد كشفوا هناك منجما للفحم . »

فقال الشاب : « منجما للفحم ؟ ولماذا ؟ إن هناك أكبر مؤسسات استخدام أشعة الشمس . فهل من حاجة مع هذه المؤسسات الى منجم للفحم ؟ » فارجعت شفتى الى نصابيهما من الجد وعلمت أن قول الشاب لاينم عن هزل أو فكاهة . فقلت له معتذرا : « أرجو المعذرة اذ كنت أجهل ذلك ، ولكنى أرجو أن تخبرنى أى شعب له فضل إنشاء هذه المصانع ؟ »

فنظر الى متعجبا وقال : « ألست مصريا ؟ » فقلت له مرتبكا : « نعم أنا مصرى . وكدت أخون نفسى فأفصح له عن سر حالى وحقيقة أمرى ثم تذرعت بالحزم وقلت له : « ولكن أرجو العفو فقد غبت عن مصر مدة طويلة . فالحقيقة أنى انتقلت منها طفلا ولم أعد اليها إلا اليوم . وكنت أحب أن اعرف الموضع الذى كنت أعيش فيه وأنا طفل فسألتك عن محطة المترو لاذهب به الى مصر الجديدة لذلك الغرض

فقال الشاب : « اعلم ان مصر اليوم لايسمح فيها لشركة أجنبية أن تقوم بعمل . فهذا محرم فى قانونها ، ومنذ عشرات من السنين قد أفلست شركة مصر الجديدة لأنها ضاربت فى بعض المشروعات الاجنبية ، ومنذ أفلست استولت الدولة على مكانها وأطلقت عليه اسم حى الشركة القديمة ، وهو حى متوسط بين حى (الملكة نازلى الذى نحن فيه الآن وحى ميدان الطيران الاصغر الذى فى الطريق المؤدى الى مدينة السويس ، ويمكنك الوصول اليه عن طريق تحت الارض رقم ٥١ عن طريق السيارات رقم ٥ شمال ، وكنت أسمع

قول الشاب وانا في دهشة عظيمة من التغير الذي اعترى البلاد وأردت أن أعلم علم تلك الشركات التي ذكرها الشاب في عرض حديثه عن مدينة حوش عيسى فقلت له : « ولكنك لم تقل لي لمن تلك الشركات التي تملك مصانع حوش عيسى »

فقال الشاب : « هي مثل الشركات التي تملك مصانع بلبيس والاسماعيلية وبورفؤاد . ومثل شركات مصانع السيارات والطيارات في أسوان . وشركات استخراج الراديوم والالومنيوم وسائر المعادن من سواحل البحر الاحمر، وشركات مصانع الفواكه والمربيات في وادي عربة الواقع في الصحراء في شرق مديريتي بني سويف والمنيا . فكلها شركات مصرية »

فلم أتمالك أن اهتززت هزة قوية عند ماذكر الفتى ذلك ورفعت رأسي مباهيا كأنما هذه الشركات قائمة في عصري الحالي وكدت أفخر قائلا أنا من بني مصر هؤلاء . ولكني ذكرت أن فخر ذلك ليس لي فإني من أهل جيل لم يحق لهم أن يفاخروا بمثل هذا . ورأيت الفتى يستعد للقيام فسألته وأنا آسف لفراقه : « الى أين ؟ » ولقد وددت أن أبقى معه حتى أعرف كل ما في حياة مصر في عصره من التجديد البديع ، ولكنه أجاب اجابة حاسمة : « وأعتذر لك لأني ذاهب لسماع خطاب رئيس شركة قناة السويس في البرلمان في موضوع هام خاص برسوم البحارة في تلك القناة »

فسألته : « وكيف يكون رئيس تلك الشركة عضواً في البرلمان ؟ » فنظر الي متأففا من غباوتي وقال : « ولكن لم تجب لذلك ؟ أليس مصريا ؟ » فتجلت اذ عرفت أني دائما أنسى وأخلط بين عصري وذلك العصر الجديد الذي نزلت به . ومد الفتى يده الى مسلما وقال : « لعلنا نلتقي بعد ! » فسلمت عليه باسما وشكرته ولكني لم أملك نفسي أن سألته سؤالا كان يجول بنفسي طول المدة التي جلست فيها معه فقلت : « ولكن ماذا فعل الانجليز . ألا يزالون على عهدهم » فرفع الشاب رأسه عاليا وشمخ بأنفه وقال لي غاضبا : « حسبك أيها الرجل . ماظننت أنك تبلغ بي الى مثل هذه الاهانة . »

فقلت معتذراً : « أية اهانة ؟ إني لم أقصد شيئا من ذلك »

فقال وهو يسير : « إنك تذكرني بعصر مضى منذ بعيد . قضى على بلادي أن تخضع له حينا من الدهر أيام كان أهلها فيهم رخاوة وضعف ، ولكن ماذا يدخل الانجليز اليوم في أمورنا ولهم من أمورهم في بلادهم مايملأ دائرة اهتمامهم ؟ » قال هذا وسار مسرعا وتركني وحدي لا أملك رأسي مما بها من الدوار . فوضعت منظاري على عيني وجلت بنظري حتى رأيت الآلة حيث تركتها وأسرعت اليها فأدرتها وعدت الى عصري ورأيت المناظر التي اعتدتها منذ عشت . وعدت إلى منزلي فقضيت ليلة مسهدة بين آمال وهموم . وقد زارني أصدقائي في اليوم التالي فقال لي توفيق « لعلك رأيت في العصور الآتية مايذهب عنك ألم الحاضر »

فقلت : « لن تراني بعد اليوم مقطب الجبين . سوف أسعى بقدر طاقتي لعلي أكون موفور النصيب من بناء ذلك المجد المقدور » ثم حكيت له قصة مارأيت وقلت له : « ليحمل كل منا أمانته إلى أبناء الجيل الذي بعده . فهذا مجد محتوم . هذا أمل محقق ان شاء الله »

محمد فريد أبو حديد

هاكم قبعة أخرى

تأليف لويجي براندللوا Luigi Pirandeils

وترجمة الدكتور محمد عوض محمد

(ولد لويجي بيراندللو في ٢٨ يونيو سنة ١٨٦٧ ، في إحدى القرى بجزيرة صقلية. ودرس في روما وفي ألمانيا . ثم عاد الى روما واحترف أولا مهنة التدريس وانصرف في جهوده الادبية أولا إلى الشعر . ثم إلى التأليف القصصي : ثم المسرحي وقد سلك في بادىء الامر مسلك جيوفاني فرجا (G Verga) الروائي الصقلي الشهير . فكان يتخذ من قصصه وسيلة لوصف أهل صقلية ومعيشتهم وطباعهم : لكنه مالبث أن ظهر أسلوبه الخاص ، في رواية الشيوخ والشباب وفي قصة المرحوم ماتيا باسكال . وأكبر ما يعاب على بيراندللو تغلب العقل على العاطفة في مؤلفاته ونظره الى الاشياء على غير حقيقتها . وإغراقه في التحليل وتشاؤمه . ولكن براعته ومقدرته كانت موضع اعجاب شديد في جميع أوربا . وقد ترجمت قصصه وتآليفه المسرحية الى ١٥ لغة . ومثلت تمثيلاته المسرحية باللغة الايطالية في انكلترة وفرنسا وسويسرة وفي ألمانيا فقوبلت بحماس شديد . وكان المؤلف نفسه يشرف على اخراجها .)

بعد أن قضى ديجو بروز ساعات طوالا يتمشى ، بلا قصد ولا مأرب ، على ضفاف نهر التيبر ، في ذلك الحي الهادىء المسمى براتي دي كاتلي Prati dei Catselli ملتزما في سيره جدران الثكنات ، ومبتعداً قدر جهده عن ضوء المصابيح ، أحس فجأة أن التعب قد نال منه فتوقف هنيهة تحت ظل شجرة ، ثم صعد الدرابزين المطلة على النهر .. وهناك جلس موليا وجهه تلقاء النهر ، ومدلياً رجليه من فوق السور .

ومن تحته الماء يتدافع في جريانه بصوت مبهم غامض . وقد انعكست على صفحته القاتمة أضواء مرتعدة مضطربة أرسلتها مصابيح الضفة المقابلة وشمل السكون المكان ، فلم يكن ينبعث من المنازل المقابلة صوت ؛ ومن وراء تلك المنازل ، على بعد شاسع ، كان يبدو شبح مدينة روما . وفي السماء قطار يتدافع من السحب الصغيرة ، ذات اللون الرمادي الشاحب . وكأنما كانت تهرول مسرعة ؛ لكي تلبي دعوة داع قد أهاب بها من المشرق الى اجتماع غامض عجيب ، وقد أشرف القمر من فوقها كأنه يستعرضها وهي تمر سراعا بين يديه .

جلس الفتى من غير حراك ، وقد ولى وجهه شطر السماء ، محدقا في تلك السحب . التي استطاعت بجريانها السريع أن تكسب الليلة المقمرة نشاطا وحركة .

وطرق سمعه فجأة وقع خطوات . فالتفت ليرى القادم ولكن الصوت انقطع .

لا شك أن هذا أحد الناس . قد وقف ليرقب مثله منظر الليل ولكي يتأمل في تلك السحائب وهي تمضي سراعا ، والى القمر في السماء إذ يستعرضها ، والى تلك المياه المظلمة القاتمة ، وما انعكس عليها من شعاع مرتعد مضطرب .

ثم تنهد تنهد الحزين . فان احساسه بوجود رجل آخر ضايقه ، وأفسد عليه تلك اللذة الحزينة التي يبعثها شعوره بالوحدة . ومن حسن الطالع أنه كان يجلس في الظلام ، فعسى القادم ألا يراه ، والتفت لكي يستوثق من الأمر

وجعل يحدق في هذا الغريب . ياعجبا ! ماخطب هذا الرجل وقد وقف جامدا فريدا وحيدا ؟ ثم ما هذا الشيء الذي بيده كأنه حقيبة صغيرة ؟ لا ليست هذه حقيبة . بل قبعة . . . وبعد فماذا عساه أن يفعل؟ رباه ! إنه يصعد السور . . أتراه يريد أن يرتكب . . ويلاه . . ماهذا . .

وتراجع ديجو بغريزته الى الوراء ، مغمضا عينيه ، حابسا نفسه ، ومادّاً يده الى الأمام كأنما يدفع شرا ، وهو يتوقع سماع صوت ذلك السقوط المروع في الماء الذي تحته .

حادث انتحار . . . ياعجبا . . كيف يجوز مثل هذا ؟

ثم فتح عينيه ، وجعل يحدق في الماء تحديقا شديدا وهو يحاول أن يخترق ببصره أعماقه السوداء . فلم تقع عيناه على شيء . . . الصمت شامل والهدوء باسط جناحيه . . لا صياح ولا نداء ولا صوت . فياعجبا ! ألم يره أحد ، ولم يسمع صوته إنسان؟ هنالك تحت لجج النهر رجل يغرق ، ولعله الآن يكافح في يأس وفي جهد . . . كل هذا يجري وهو جالس في مكانه مرتعدا عاجزا خائرا ! . . . أما يجمل به أن يبادر فيطلب النجدة ! أو يصيح بأعلى صوته . ولكن هيهات . . لم يعد يجدي الصياح والاستنجاد ! لقد رضي أن يبقى مختبئا في مكانه المظلم ، تاركا ذلك المسكين يغرق ! . . جمد في مكانه كالصخرة الصماء ، حابسا نفسه ، سائلا نفسه من آن الى آن : أحقا قضى الأمر . . قضى الأمر ؟

وبعد حين جعل ينظر فيما حوله . . لعل الأمر كله حلم رآه ! أن كل شيء باق كما هو لم يتغير : المدينة راقدة تحرسها المصابيح ، وسط سكون عميق كما كانت من قبل ، والأضواء ترتعد على صفحة الماء القاتمة بأشعة ثعبانية ملتوية . . لم يتغير في هذا المنظر كله سوى شيء واحد : فلقد كان على عمود مصباح من المصابيح قبعة الرجل بقيت هناك حيث تركها ، وكان المصباح يرسل عليها شعاعا شاحبا مشئوما . . وكان يخيل اليه أن تلك القبعة ترتقبه وتتهمه . . فأخذ يرتعد فرقا . ثم نزل مسرعا من فوق الدرابزين ، وجعل يعدو الى منزله مستترا بظلام الليل .

« ديجو ! ديجو ! ماخطبك ؟ »

« لا شيء يا أم ! وما عساه أن يكون خطبي ؟ »

« لست أدري أيها العزيز . . . غير أني . . . حسبتك . . . لقد جئت متأخرا الليلة قبل أهي، لك حجرتك الآن ؟ »

فالتفت الفتى الى أمه مغضبا ، وقال : « ياعجبا لك ! انك ! تسألينى هذا السؤال كل ليلة من ليالي عمري ! »

وكان هذا الرد كأنه سوط يسحقها ، فاندفعت العجوز الصغيرة الجسم نحو الحجرة وهي تجر احدى رجليها .

اتبعها الفتى نظرات قد امتزج فيها الغيظ والكدر وآها وهي تختفي آخر الدهليز ، فتنفس الصعداء اشفاقا عليها ، ثم لم يلبث أن عاوده الضجر والكد . وقد بقي ينتظرها — دون أن يعرف للانتظار سببا ، ولا ماذا عساه ان ينتظره — في هذه الحجرة المظلمة ، ذات السقف القذر والجدران الممزقة الورق ، التي اتخذتها الام لصناعة الثياب حجرة صغيرة كئيبة قد غصت برخيص الاثاث ، وبعدد الحياكة المختلفة : آلة الخياطة ، مقص مستطيل . تماثيل سخيفة ذات صدور ضخمة . شريط مقاس . قطعة من الطباشير . اكداس من صور الازياء ذات الابتسامة الكالحة . . . وكلها اشياء قد الف ديجو رؤيتها فلم تعد تستلفت نظره

لقد عاد الى منزله ، يحمل في رأسه صورة كأنها منظر شاهده في مسرح ، صورة تلك السماء العجيبة ، تغشاها السحائب الصغيرة الخفيفة . ومنظر النهر القاتم ، قد انعكست في صفحته أضواء المصابيح والمنازل العالية على الضفة المقابلة ؛ وذلك الشبح البعيد لمدينة روما؛ وذلك الجسر الممدود . . ثم تلك القمة ! كانت أمامه صور كل تلك الاشياء الجامدة ، حاضرة لكنها غائبة وكذلك هو . لقد كان حاضرا غائبا . جلس في مكانه المظلم يرقب الرجل وهو يغرق . . فكأنه لم يكن هناك ، وكأنه كان غائبا . فلم يحرك ساكنا ، ولم يفتح فمه ، ولم يستنجد . والآن قد رجع إلى داره وقد ملكته الحيرة ، واستولى عليه الذهول . كأنما كل ما سمعه ورآه لم يكن سوى حلم نائم . .

لم يلبث أن رأى قطة كبيرة ، ذات فروة رمادية ناعمة . وثبت فوق المائدة ، وجعلت تنظر اليه بعينين خضراوين خاليتين من كل معنى . هذه قطة الدار ، اتخذوها لصيد الجرذان . غير أنها منذ أيام انتزعت من الجدار قفصا به عصفور جميل . . ثم لم تزل تحتال دائبة ، تدفعها القسوة والنهم ، حتى استطاعت أن تخرج العصفور من بين القضبان . ثم التهمته . وقد حزنت أمه لهذا حزنا شديدا . . بل أنه هو أيضا قد آلمه أن يفترس ذلك العصفور المسكين على هذه الصورة

أما القطة ، فهل ثارت او أحست ندما على ما ارتكبت ؟ كلا ؛ بل ها هي ذي جالسة في سكون وطمأنينة ، كأن لم تقترف ذنبا . ولئن رفعها بعضهم عن المائدة فانها لن تعرف لهذا الاضطهاد سببا .

عجبا ألا يستطيع هو أن يكون مثلها ؟ ألا يمكنه أن يقترف الاثم كما فعلت هذه المرة ، ثم ينسى كل شيء بعد ارتكاب الجريمة بلحظة ؟ أن الآفة الكبرى التي تسحقه وتضنيه هي أنه يتذكر . . يتذكر أبداً ويعلم أن الناس سيذكرون أبدا .

لكنه يخيل اليه أنه في هذه الليلة يرى الأمور في ضوء جديد . . مثلا : نظرته إلى أمه . . . أنه لم ينظر اليها الليلة كأنها أم . . . بل امرأة عجوز كأمثالها من النساء . . ذات جسم ضخم وأنف غليظ قد اعوج قليلا أحد جانبيه . ولها شامة كبيرة في قاعدة منخرها الايسر ؛ وخداها الشاحبان تغشاهما خطوط زرقاء من الاوردة الدقيقة . وقد تدلى كل خد في ترهل وضعف . .

وقد جعلت تنظر إليه بعينين متعبتين خائرتين . وحين حدق في وجهها أطرقت بعينها ، وقد ملأها الخجل والعار . . ولكن مم تخجل الأم ؟ لقد كان يعرف جد المعرفة سر هذا الخجل ، وهذا الشعور بالعار .

وأخيرا ضحك ضحكه الساخر . وقال « عمى مساء اماه ! » وانطلق إلى حجرته ، وأغلق بابها .

* * *

جلست الأم إلى مائدة الحياكة ، لكي تتم خياطة ثوب ، ستحضر صاحبته في طلبه في الصباح . لكنها لم تجلس لتتم عملها فحسب ، بل لكي تفكر قليلا . . ماذا عساه قد جرى لفتاها الليلة؟ طالت غيبته ولم يرجع إلا متأخرا . وكانت تغشاه رعدة . ووجهه شاحب كأنه خرقة بيضاء . وليس الشراب سبب هذا الاضطراب . انها لم تنشق من فمه رائحة الخمر وليس ديجو من الشاربين

ومع ذلك ، فليس من شك في أنه قد ألم به اليوم حادث . أتراه قد التقى من جديد بأولئك الرفقاء الأشرار . الذين كانت صحبتهم وبالا عليه ودمارا .

ذلك ما كانت تخشاه : :

نهضت من كرسيها ، ومشت على أطراف قدميها حتى وصلت الى باب حجرته . وأنصتت ، فلم تسمع صوتا لعله إذن قد آوى إلى فراشه وقد غشيه النعاس . .

عادت الى حجرتها . وأخذت تجد في إتمام عملها . كانت من آن لآن تنزع المنظار عن عينيها وتمسحه . لقد كانت من قبل

وليس لها مورد رزق سوى ما كانت تمنحه من معاش كاحدى الأرامل . وكانت تجد في هذا كفايتها ، أما الآن وقد فقد ديجو منصبه وأضحى بلا عمل . فقد اضطرت الى السعي والاكتساب . وفوق هذا قد خطرت لها فكرة : وهي أنها تستطيع بفضل جدها واقتصادها أن تجمع من المال ما يكفي لارسال ديجو الى أمريكا . إذ لابد للفتى من فرصة كي ينشد حظه من جديد . أما هاهنا في إيطاليا فقد سدت في وجهه السبل ، وهذه البطالة التي أكره عليها إكراها توشك أن تأكل روحه وتقضي عليها .

أمريكا إذن . إن أمريكا هي وحدها المكان الصالح له . فلابد من إرساله الى أمريكا ولو كان في هذا موتها وفناؤها . لابد أن يفتح لولدها باب الحظ .. ولدها .. ذلك الفتى الكريم .. ما ما أطيبه ! وما أجمله . بل وما أقدره وما أذكاه ! ألم يكن من قبل قادراً على الكتابة والتحرير . حتى لقد نشرت له الصحف بعض ما كتب ؟ ثم ما جرمه الذي اجترم ، وما ذنبه الذي إقترف ؟ لم يكن الأمر سوى ضرب من عبث الشباب ؛ والذنب فيه راجع لأولئك الرفقاء الأشرار ، والى ذلك الروسي أو البولندي ، أيا كان وأيا كانت جنسيته .. ذلك الأجنبي القذر ، ذلك السكير المهين ، الذي جاء الى روما لكي يسوق أبناء الأسر الشريفة المبجلة الى الدمار والعار . فوا أسفاه على أولئك الفتيان البله . كيف ضاع رشادهم ، وضلوا عن طريق الصواب . إذ دعاهم ذلك الأجنبي الكثير المال الى منزله . فطاشت أحلامهم ما بين كؤوس الخمر والنساء وضروب اللهو .. ويصل ذلك الروسي المقامر على أن يأتي بالورق ويلح عليهم أن يلاعبوه ، أجل كان يلح عليهم الحاحا . ولئن كان قد خسر نقوده ، فذلك جزاؤه على اصراره وعناده . لكنه بعد هذا يذهب وبالعار لـ فيتهم أصدقاءه بالغش والتزوير . ثم يسعى في مقاضاتهم لكي يجلب اليهم الدمار مدى الدهر ...

سمعت الأم صوتا كأنه صوت بكاء مكتوم ينبعث من حجرة ابنها ، فنادته : « ديجو ! » فلم يرد جوابا .

أنصتت مرة أخرى ، وألصقت أذنها بالباب . إنه مستيقظ . فما عساه يصنع الآن .

إنحنت ونظرت من ثقب المفتاح .. رحماك اللهم ! إنه يقرأ .. عاد الى مطالعة تلك الصحف الكريهة التي اشتملت على تفاصيل المحاكمة . فلماذا .. لماذا يريد أن يعود الى قراءتها .. وفي هذه الساعة من الليل ؟

ونادته بصوت عال : « ديجو ! » ثم فتحت الباب ، فالتفت اليها . وهو يثب فزعا . وقال : « ما الخطب يا أم : ما بالك لم تأوي إلى فراشك ؟ »

قالت : « وأنت ، ما بالك لم ترقد في فراشك بعد ؟ »

فتكلف الابتسام وجعل يمد ذراعيه . « أنا ؟ إني أتسلى قليلا »

فقالت العجوز وهي تعصر يديها عصرا : « ديجو ! ديجو ! احرق هذه الأوراق ! أستحلفك أن تحرقها .. لماذا تريد أن تؤذي نفسك ؟ ماذا يجديك مذاكرته ؟ انس ذلك الحادث تماما ! »

فنظر اليها وهو يضحك .

« شيء بديع ! كأني اذا نسيت ذلك الحادث فقد ينساه الناس جميعا ! ما أبدع هذا ! وما أسهلها وسيلة ! ننسى الحادث كأنا في لمحة الطرف ! ثم نتساءل هل حدث شيء ؟ لا ... لا ... لاشيء ... لاشيء مطلقا ... السجن ! كلا لم يكن هنالك سجن . بل كل ما في الأمر أني سافرت ... في اجازة خارج القطر ... اجازة بديعة دامت ثلاث سنين » ثم قال مغيرا لهجته : « يا أماه ! هذا عبث لا طائل تحته . فلنتكلم في موضوع آخر . ألا ترين أني قد قضي على القضاء المبرم ؟ ألا ترين كيف تنظرين — حتى أنت — إلي ؟ »

« لا يا ديجو ... لا .. انك على خطأ وكل ما هنالك أنها العزيز أني كنت أنظر ... أجل كنت أنظر .. إلى ثيابك .. فقد باتت رثة . ولابد لك الآن من بذلة جديدة .. »

فنظر إلى ثيابه نظرة فحص وتحقيق . ثم ضحك وقال : « إذن أنت تظنين أن هذا هو السر في تحديق الناس بي كلما رأوني ! لست أنكر أن ثيابي قد امتدت اليها يد البلى قليلا ؛ ولكن هذا القدر القليل ليس بشيء ذي خطر وأنا شديد الحرص عليها . ألبسها في عناية ، وأمسحها وأكويها . والحقيقة أن مظهري حين ألبسها لا بأس به مطلقا . فهو مظهر الرجل الفاضل ، الذي يستطيع أن يتخذ مكانه في العالم على غير استحياء ولا خجل ... فدعي هذا الكلام ! فليس وراءه من طائل ! .. أماه ! ألا ترين أنه قد قضي على القضاء الأخير » ثم أشار الى الأوراق التي بين يديه : « ان البلاء كل البلاء ، هنا ، في هذه الأوراق وحقيقة الأمر أنا أطلعنا الجماهير على لعبة ورواية مدهشة . فهل تحسبين أنهم ينسونها بكل هذه السرعة ؟ لا أظنهم جاحدين بهذا القدر ... وبالها من رواية تلك التي أريناهم .. رواية تمثل فيها الأرواح عارية دنيئة ملوثة ، وهي تحاول أن تختفي عن الانظار ؛ يوم كان كل منا يجذب رداء المحامي الذي يدافع عنه لكي يستتر به عاره ، أجل كانت رواية مدهشة رائعة . أتذكرين كيف أرعد الناس ضاحكين في ساحة القضاء حينما سمعوا ما فعلناه بذلك الروسي يوم أن ألبسناه الزي

الرومانى القديم والبسناه الطوجا وأنعلناه الخفين، على ماله من
أنف أفطس ووجه منقط، ورأس مستدير، ومنظار ذهبى، ثم جعلنا
ندفع ذلك الخنزير السمين دفعا، ونضرب رأسه بخفيه، وكلما
أوسعناه ضربا ازداد طربا. لانه قد أخذ منه السكر »
« ديبجو! أستحلفك! »
« أجل كان سكرانا، ونحن الذين أسكرناه . »
« لا. لا. لم تكن أنت الذى فعل هذا، بل الآخرون - . »
« وأنا أيضا . . . أتعلمين يا أماه أن هذا كله كان من سبيل
المزاح. لقد كنا نعبث به ونمزح. ثم تناولنا الورق للعب، وكان
من السهل أن نربح. والرجل قد ذهبت بعقلة الخمر . »
« ديبجو! أستحلفك! »
« قلت لك إننا كنا نمزح، هذا وحقك يا أماه، هو الصدق
الذى لامرية فيه، ولكنى حين ذكرت هذا فى دار القضاء ضج
الناس بالضحك، أجل حتى القاضى . . بل لقد كان هو أشدهم
ضحكا . . ضحك الجميع من قولى هذا . . الجميع . . حتى رجال
الشرطة. ومع ذلك فقد كان هذا هو الحق. فلقد كنا نرتكب الغش،
ونحن لا ندرى. أو اذا كنا ندرى فما كنا نرى أنفسنا إلا مازحين
وهل كانت سوى أموال رجل قذر معتوه، وكانت تنصب من
من جيبه انصبابا، كما انصبت من جيوبنا فيما بعد. حيث كنا نبذرها
تبذيرا فى بلاهة وجنون، حتى لم يبق لدينا منها درهم واحد . »
ثم التفت الى خزانة الكتب وأخرج منها كتابا.
« هذا كل ما بقى لى من تلك الأموال. فقد مررت يوما ببائع
كتب واشتريت منه هذا الكتاب. » ثم ألقى بالكتاب على المائدة
فاذا هو ترجمة فرنسية لكتاب جون رسكن المعروف (تاج من
أغصان الزيتون) .
وجعل يحدق فى السفر مقطبا حاجبيه. عجبا كيف خطر له فى تلك الأيام
أن يشترى هذا الكتاب؟ لقد اعتزم ألا يعود الى المطالعة، وألا
يخط حرفا أبدا. وما دعاه الى الذهاب لذلك الروسى سوى عزمه
على أن يخمد جذوته، وأن يقتل فى نفسه حلما كان يساورها: حلما
بأنه سيغدو يوما كاتبا ومؤلفا. ذلك كان حلم شبابه. ولكن
الفقر الأليم الذى نزل بأسرته جعل تحقيق هذا الحلم أمرا محالا.
ولهذا صح عزمه على أن يقتله قتلا.
وقفت العجوز تتأمل هى أيضا ذلك الكتاب الغريب، وبعد
لحظة قالت فى شىء من التردد: « أترى يا ديبجو . . . لو أنك
عاودت الكتابة »
فنظر اليها نظرة كريهة كئيبة، فقلبت لها سحنته
وشاهت سحنته .
لكنها عادت الى الكلام وقالت: « ماذا يضرك أن تحاول؟
ماذا يدعوك الى اليأس، وأنت بعد فتى لم تتجاوز السادسة والعشرين
ومن يدرى لعل لك فى الحياة حظا جديدا تنسى به ما قد مضى - ! »
فقاطعها، وهو يخاطبها فى سخرية وتهكم: « نعم! حظ جديد
ما أكثر الحظوظ الجديدة! أجل وأعمرك لقد أصبت الليلة حظا
جديدا. فلقد شاهدت بعينى رأسى رجلا يلقى بنفسه فى النهر
وجلست فى مكانى أراقبه دون أن أحرك ساكنا . »
« ماذا تقول يا ديبجو؟ أأنت شهدت حادث انتحار الليلة؟ »
« أجل أنا شاهدت رجلا ألقى بقبعته على البرلن. ثم صعد وألقى
بنفسه فى النهر فى هدوء وسكون وجلست أنا فى موضعى، منصتا
لصوت سقوطه فى الماء، وكنت على بضع خطوات منه، جالسا
فى ظل شجرة، وكان كل ما فعلته أن جلست فى مكانى وتركته يغرق. أجل
ذلك كل ما فعلت! ثم استولى على الذعر فجأة، حين أبصرت قبعته
التى تركها خلفه. فلذت بالفرار »
« أنت تعلم يا عزيزى أنك لا تعرف السباحة. فأنى لك أن
تقوم بمساعدته وانقاذه؟ »
كان فى وسعى أن أصيح وأستنجد. أو على الاقل أحاول
انقاذه. فقد كان الى جانبى درجات من الحجر نازلة الى النهر. لم
يكن بينى وبينها غير مترين. أتعلمين أنى رأيت هذه الدرجات.
أجل رأيتها فى وضوح وجلاء. ولكنى تجاهلت رؤيتها. ثم
لم تك الا لحظة حتى قضى الأمر وغاب عن الأبصار »
« ألم يكن بالمكان أحد سواك؟ »
« كلا لم يكن بالمكان غيرى »
« لا بأس عليك يا ديبجو! وماذا عساك أن تصنع وحدك.
فلا تبتئس! انك متعب منهوك القوى، ولقد هدنا كل ما هنا لك!
ولقد أخذت ترتعد لهول ما رأيته الليلة. والآن فلتذهب الى فراشك
ونم لكى تنسى كل شىء »
وتناولت يده فى شىء من التردد وجعلت تمسحها بكفها.
وأجابها على كلامها بهزة فى رأسه. وقال لها وهو يبتسم « عمى مساء يا أماه! »
« نم هانئا يا بنى! »
لقد أثر فى نفسها أنه سمح لها بأن تمسك يده وتمر عليها بكفها
مرارا. وجعلت تمسح عينيها من خلف مناظرها. ثم أطفأت
المصابيح وذهبت الى فراشها وهى تفكر فى تلك اللحظة التى سمح
لها فيها أن تلاطفه تلك الملاطفة.

* * *

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

بقية من لغو الصيف

قال بل أقسدتيني أنت حين أكرهتيني على الذهاب الى باريس ، قالت فاني لا أدع لك حرية الاختيار ، وإنما أفرض عليك الربوة الجميلة الهادئة وحديثها البرىء من العبث والتجنى فرضا ، قال لقد اطاعتك حين نفيتنى الى باريس فأحرى ان اطيعك حين تنفيني فى الى هذه الجنة الخضراء ، وأكبر الظن ان طبيعة هذه الربوة الجميلة الهادئة ستكون اقوى منك ومنى وستوجه عقلينا وقلبينا الى حيث تريد هى لا الى حيث تريدين ، ولا الى حيث أريد . قالت مادمت واثقا بالطبيعة الى هذا الحد ؛ مؤمنا لها الى هذا الحد ، فلنذهب الى ربوتك ولنحكم جمالها وهدوءها فيما ستفيض به قلوبنا من شعور ، وفيما ستضطرب به عقولنا من تفكير ، وفيما ستجرى به السنتنا من حديث .

وانتصف النهار وإذاهما فى هذا المكان الجميل الذى خلت فيه الطبيعة الى نفسها فاتخذت زينتها حرة طلقة لا متكلفة ولا خاضعة لعبث الناس . وإذا هما ينظران ويسمعان ويتنسمان هذا النسيم الهادىء القوى وقد أزيلت الحجب بين نفسيهما وبين ما فى هذه الربوة من جمال هادىء قوى خصب مختلف الألوان . ولو قد خلى بينهما وبين ما كانا يغرقان فيه من هذا الصمت الحلو الذى كان يمزجهما بهذه الطبيعة الحلوة لظلا صامتين هادئين حتى تزعجهما ظلمة الليل ، فتخرجهما عما كانا فيه من صمت وهدوء . ولكن هذه الطبيعة نفسها أبت عليهما ما كانا فيه كأنها أحبت ان تسمعهما ، وكأنها أحبت ان تمتزج اصواتهما بأصواتها ، فأبى الا ان يحدث نبأة تخرجهما من نعيم الصمت والذهول الى شقاء الحديث والتفكير . احسا نبأة قريبا لها ، وهما ان يتعرفا مصدرها فلم يدلا عما اراد الى شىء ، ولكنهما تساءلا : وسمع كل منهما صوت صاحبه فاغرى به واشتدت رغبته فيه : وعادا الى ما كانا فيه من حوار ؛ قبل ان يبلغا هذا المكان الجميل .

قال ، واذا فانت تجدين من المشقة فى قراءة القصص التمثيلى ما يرغبك عن هذه القراءة : ويغريك منها : ويحبب اليك قراءة هذا القصص اليسير الذى لا اخذ فيه ولا رد ، ولا جدال فيه ولا حوار . قالت نعم وان كرهت ذلك ورأيته آية من آيات الضعف ومظهرا من مظاهر القصور . قال وكيف يكون ضعفا ما تحبين ، وكيف يكون قصورا ما تكلفين به من الامر ؟ قالت تنبه فانى أراك مقدما على اخلاف الوعد الذى سبق . قال فانى لم اعد بشىء على انى لا أدرى أين يكون هذا الاخلاف لست عائبا ، ولا متجنيا ، إنما أقول ما أعتقد ، وأصور ما أرى . وإنى لأشعر بالنفور من قراءة التمثيل ، وبالرغبة فى الا كتفاء بهذا القصص اليسير . قالت فانك تكبر التمثيل اكبارا أراك تسرف فيه ، قلت أجحد قدره ولا مكانه بين مظاهر التعبير الادبى ، ولكن التمثيل خلق للملاعب لا للكاتب ، وخلق لينفذ الى النفس من طريق الاذن والعين ، لا من طريق العين وحدها . وخلق لينفذ الى النفس ممتزجا بأصوات المتحاورين وحركات اللاعبين ، لا لينفذ اليها كلاما غير منطوق ، وعملا لا يأتى به أحد من الناس . قال حجة قوية هذه لا اريد ولا أستطيع أن انقضها وليس من شك فى أنى اوثر ان ارى التمثيل فى الملاعب على ان اخلو اليه فى مكتبى ، واوثر ان ارى اشخاص القصة يذهبون ويجيئون ، واسمعهم يجادلون ويحاورون ، ولكن ماذا أصنع اذا حيل بينى وبين الاختلاف الى الملاعب ، لأن ظروف الحياة لا تريد ذلك او لأنى اعيش فى بلد لا يزهر فيه التمثيل ، ولا يكاد يزوره الا لماما أو لأن آيات من القصص التمثيلى قد قطعت الطريق بينها وبين الملاعب . أأجهل هذا الفن من فنون الأدب جهلا ، وأهمله اهمالا ، وأنسى انه موجود وان فيه للنفوس الراقية متاعا ، وللعقول الراقية غذاء ، وللقلوب الراقية

لم تمض ساعة حتى كان ديجو يبرز فى مجلسه الأول على الدرابزين ، فى ظل تلك الشجرة . وقد جلس كما كان يجلس من قبل ناظرا الى النهر ، ومدليا رجليه .

وكانت السحائب لم تزل تغشى السماء فى لونها الرمادى الشاحب وكأن لم يتغير شىء مطلقا . . بل لقد تغير شىء واحد : فان القبعة قد اختفت . وأكبر الظن أن أحد رجال الشرطة قد رآها فى تجواله فأخذها .

نزل ديجو فجأة عن الدرابزين ومشى نحو الجسر ، ثم انتزع قبعته عن رأسه . ووضعها فى نفس المكان حيث كانت قبعة ذلك الرجل الغريب .

ثم تبسم وقال : « وها كم قبعة أخرى ! » وكأنه ما فعل هذا الا ليمزح : كأنما أراد أن يمازح رجال الشرطة

وعاد الى مكانه فى ظل الشجرة . وجلس برهة يتأمل القبعة ، معجبا بمنظرها وكأنه هو لم يكن له وجود . ثم اندفع فجأة يضحك ضحكا عاليا وحشيا . لقد بدت له القبعة كأنها فار ، وكأنما هو قطة ترقبها . .

وجعل يتدلى من الدرابزين شيئا ، فشيئا ، ملقيا بنفسه الى النهر على مهل . وقد أمسك الحاجز الحجرى بقبضتيه . فأحس بقلبه يثب وشعر رأسه يقف ، ثم أحس بقبضتيه . . وقد أخذتا فى الارتخاء . وانفرجت أصابعه ؛ فهوى الى النهر . . الى الفناء . . ؟

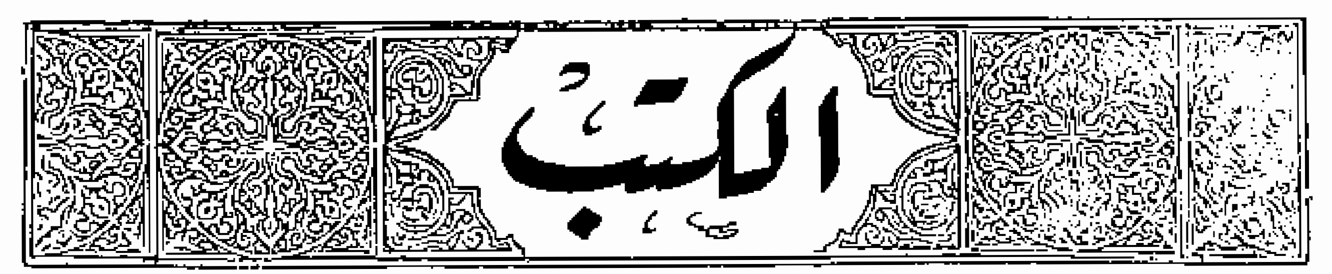
محمد عوض محمد

لذة. قالت وقد أخذها شيء من الدهش كأنما رفع عنها حجاب فرأت نورا باهرا لم تكن تنتظر أن تراه. ماذا تقول او اين ذهب بك الجدال؟ والى اى حد انتهى بك حب الخصومة. قال الى حيث تأتين ما لم يستطع الدهر ان يأتي. وتصدرين احكاما أعجز النسيان وعجزت الأيام وعجزت المحن والخطوب، وعجز الجهل والجمود عن أن تصدرها. الى حيث تمحين من سجل التاريخ الادبى اعلام الادب القديم والحديث. الى حيث تمحين ايشيل، وسوفوكل. واوريبيد، وارستوفان، وشكسبير. قالت في شيء من الجزع لا تقل هذا، وكيف السبيل الى محو هؤلاء الاعلام ومحو هذه الاسماء؟ واهمال هذه الآيات، وان اصحابها لابقى من الدهر كله واقوى من الناس كلهم، واحق بالعناية ممن شئت وممن لم تشأ من ابطال الادب والعلم والفلسفة جميعا. ثم انحدرت من عينيها دمعتان وقالت بصوت رقيق تقطعه العبرة، كيف يمكن ان ينسى قول سوفوكل على لسان انتيجون في حوار الملك: ولدت للحب لا للبغض.

قال مهلا، فانا لم نأت الى هذه الربوة الجميلة الهادئة، ولم ننزل ضيفا على هذه الطبيعة النضرة الباسمة لنسفح الدموع، ونثير في نفوسنا خواطر الحزن؟ وقد وعدتك او قد وعدت نفسك بالا نعبث هنا ولا نلهو، ولكني لم اعدك، ولم تعدى نفسك بأن نبكى ونرسل الزفرات وننسح العبرات. قالت والهدوء يثوب اليها واشراق الابتسامة الهادىء الخفيف يذود عن وجهها ما غشيها من ظلمة الحزن. والبكاء لولا شغفك بالجدال وكلفك بالحوار واحتيالك في خلق الخصومات التي لا تنتهى، لما اضطررت الى ان اتورط في هذا الكلام الذي لا يمكن ان يوصف الا بأنه فن من فنون السخف او لون من الوان الجحود. قالت لست جاحدة، ومعاذ الله ان تكوني جاحدة، ولكني قلت لك انى اصبحت أرى ان السخف اقوم ما في الحياة. قالت فكن سخيفا ما شئت، فاني لا احب السخف، ولا احب ان اسمعه ولا احب ان اخوض فيه، ولولا انا هنا بعيدان عما احب من الكتب لفرضت عليك عقوبة... قال وهي ان اقرأ لك فصلا من فصول التمثيل، لأقيم لك الدليل على ان التمثيل يمكن ان يقرأ فيثير اللذة والاعجاب بعيدا عن الملعب. قالت ولن تريد ان تقيم الدليل وقد عرفت انى اشاركك في الراى، وانى لم اقل ما قلت ولم أذهب الى ما ذهبت اليه، الا حين اضطررتنى انت الى هذا الحوار الذى لا ينقطع، والذى لا خير فيه. قال ما كرا؟ ومن يدرى لعلك إن حاورتك في الشعر ان تقولى انه لا يقرأ، وانما يسمع من المنشدين. ولعلى إن حاورتك في الموسيقى ان تقولى انها لا تقرأ، وانما تسمع من الموقعين. قالت ومن يدرى لعلك ان حاورتنى في اى شيء ان أسىء رأيي في كل شيء، وان تردني الى حيث كان اسلافنا في العصور الاولى، لا يعرفون الترف العقلى ولا يبتغون لذة العقل والشعور الا من اقرب الطرق وايسر الوسائل. فقد كانوا يسمعون الشعر ويسمعون الموسيقى ويسمعون التمثيل، لانهم لم يكونوا يقرأون فأما الآن فقد نستطيع نحن ان نسمع فان فاتنا الاستماع فقد نستطيع ان نقرأ. وانى لأفكر في هذا فاعجز عن احصاء نعمة الله على الناس حين الهمهم الكتابة وعلمهم القراءة.

فهذه النعمة هي التي حفظت لنا ما في ايدينا من آيات البيان في العصور القديمة وأتاحت لنا ان نعجب بما كان يعجب به الناس من سحر الشعر والنثر منذ القرون الطوال. وهذه النعمة هي التي تتيح لنا دائما ان نستبقى آيات التمثيل التى لم يبق بينها وبين الملاعب من سبيل. لأن الاذواق قد اصابها من التغير والتبدل ما جعل تمثيل هذه الآيات أمرا لا مطمع فيه. فلو لا انها قد حفظت لنا بالكتابة ولولا انا نستطيع ان نحييها في نفوسنا بالقراءة لماتت موتا لا نشور بعده وكيف ترى تمثيل ارستوفان، وأى قصصه يمكن ان يظهر في الملاعب الآن واين الآذان التي تستطيع ان تسمع لحواره وما فيه من تجاوز لذوق الاجتماعى ومخالفة الادب المألوف. ومع ذلك فكيف يستطيع مثقف ان يجهل تمثيل ارستوفان؟ إنى لأكره كل ما يشذ عن الأدب الذى تواضع الناس عليه وانى لأرفض كل الرفض ان اقرأ على احد، أو اسمع من احد كثيرا من قصص ارستوفان، بل انى لأكره ان اقرأ هذا القصص كما كان القدماء يقرأون بصوت عال تسمعه الاذن؟ ولكنى على ذلك اعترف بأنى اطيل النظر في هذا القصص واقرأه المرة بعد المرة واقرؤه كلما ضقت بالحياة أو ضاقت بى الحياة اقرأه بالعين لا بالشفتين واللسان. قال ومالك تقفين عند ارستوفان وإن في آيات سوفوكل وصاحبيه لما يعجز الملعب عن اخراجه للناس الان، لأن فن التمثيل نفسه قد تغير وتبدل ولكن أى حرمان يصيب المثقفين لو قضى عليهم ان لا يقرأوا غناء الجوقة في شعر هؤلاء الاعلام وشكسبير ايجب ان يحرم المصريون مثلا لذة الاستمتاع آياته لأنها لا تمثل في بلادهم، بل ايحرم الانجليز انفسهم لذة الاستمتاع آياته لانها لا تمثل عندهم الا بمقدار. قالت بل نستطيع ان نذهب الى ابعد من هذا فقد نستطيع ان نؤمن بأن القصص التمثيلى فن من فنون التعبير الادبى يمكن ان يقصد اليه من حيث هو، وان يكتب الكاتب قصة تمثيلية لتقرأ لا لتمثل. قال فانك لا تذهبين الى شيء مستحدث وهل كانت كتب افلاطون كلها

« البقية على صفحة ٤٢ »



جان دارك

في سبيل الوطن

تأليف الأستاذ غانم محمد

هذا كتاب ألفه الاستاذ غانم محمد فاخرج به للناس درة من أثمن ما تحوى لجة التاريخ من درر ، ونشر صفحة من أسطع ماطوى الدهر من صفحات . وهو بهذا الكتاب قد أذاع في الناس مثلا أعلى للتضحية والفداء ، ونموذجا ساميا للوطنية المشتعلة الصادقة ممثلة في جان دارك ، التي ارتفعت الى مستوى القديسين وأولياء الله الصالحين . وما تولك في فتاة ريفية ساذجة لم تتجاوز من عمرها ثماني عشرة سنة قضتها في العمل المنزلي ورعي الغنم ، تتصدى لانقاذ الوطن من الاستعمار الانجليزي الذي أنشب أظافره في الأعناق ولم تكن لتزحزحه جحافل الجيوش

وكأنما أرادت عناية الله أن تبعث بها لتخليص وطنها ، فبينا هي جالسة في يوم من أيام الصيف في ظل دوحة ترعى غنمها . إذا بأوراق الشجر تهتز والأطيار تطلق أغاريدها عالية في الفضاء ، فانتبهت جان من اطراقها ورفعت رأسها نحو الشجرة وأغصانها التي اهتزت فجأة . فشعرت برعدة تمشي في جسمها طولا وعرضا ، ورأت السماء تنشق عن نور ساطع ينبعث من بينه هاتف يناديها ويردد اسمها ويقول لها في وضوح : « جان ! جان ! لا تخافي ، كوني ابنة طيبة ، فسوف تذهبين لنجدة ملك فرنسا » فتقدمت جان في ذهول نحو الصوت ، فرأت أن التي تخاطبها هي القديسة كاترين ترافقها قديسة أخرى ، وقد وقفتا في وسط هالة من النور بين غصون الشجرة ، فتفرست فيها جان ، وأيقنت أن التي تخاطبها هي القديسة كاترين وأن التي بجوارها هي القديسة مرغريت ، فانتفضت جان وتولاها شعور غامض من طرب وذعر ، واعتزمت من فورها انجاز ماتطلبه السماء ، فالتمست حاكم المنطقة تطلب اليه أن يرسلها الى مليكها لكي تنبه باذن الله فسخر منها هذا الحاكم ما وسعته السخرية ، ولكنها أخذت تطلب وتلح في الطلب لأن أصواتها السماوية أمرتها بذلك وليس لها عن طاعتها محيد ؛ وما هي الا أن ارسلها الحاكم في حرس عسكري الى حيث ولي العهد ـ وقد مكر به الانجليز وأقصوه عن العرش بحجة عدم شرعيته لضم فرنسا الى انجلترا ـ فلم تكد تظفر جان بالمثول بين يدي الدوفين (ولي العهد) حتى أعلنت رسالتها التي تلقتها من القديسين الأطهار ، والتي لم تزل الأصوات المقدسة تأمرها بها كل يوم وتلح عليها في النهوض بأعبائها ، وهي أن ترفع حصار الانجليز وتتوج ولي العهد ملكا على فرنسا . فتشكك الملك في أمرها بادىء الأمر ، وأرسلها الى جماعة من العلماء ، أخذت تناقشها وتحاورها ثلاثة أسابيع كاملة . ثم أصدرت الحكم الآتي « لقد تحققنا وبهذا نعلن ، أن جان دارك المعروفة باسم العذراء مؤمنة صادقة الايمان وكاثوليكية سليمة العقيدة ، ولا شيء في شخصها أو لفظها يخالف الدين ، وواجب الملك أن يتقبل ماتعرضه عليه من المساعدة ، لأنه اذا رفض معرفتها حرم نفسه معونة الله » . فلم يسع الملك بعدئذ الا أن يعين جان دارك قائدا عاما للجيش الفرنسي !!

جمعت جان فلول الجيش المهزوم ، ونفخت فيه روحا جديدا يشتعل جرأة وحماسة ، وأخذت ـ وهي الفتاة الصغيرة الساذجة ـ تقود الجند من نصر الى نصر ، حتى أجلت الانجليز ، وردتهم أذلاء بعد عزة ، ومهدت الطريق لتتويج ولي العهد شارل السابع ملكا على فرنسا . وقد بذلت في هذه السبيل جهودا جبارة ، وتعرضت لأخطر المواقف ، حتى أنها في أثناء الهجوم على حصن « لي توريل » جرحت جرحا بليغا بين كتفها ورقبتها ، وسال منها دم غزير ، فوقعت على الأرض تبكي بكاء مرا . وانتهز الانجليز فرصة اصابتها وتجمعوا حولها قاصدين تمزيقها اربا اربا . ولكن الفرنسيين قاوموهم وصدوا لهم ، ويقول مارك توين : « دار القتال حولها على أنهم يستولوا عليها ـ وفي الواقع على فرنسا ـ لأن جان في أثناء تلك الدقائق القليلة ، كانت هي فرنسا للطرفين ، فمن استولى عليها فقد استولى على فرنسا الى الأبد ، وكانت تلك الدقائق العشر هي أهم الدقائق التي دقتها الساعة في تاريخ فرنسا كله في الماضي وفي المستقبل ... »

أنجزت جان دارك رسالتها التي أمرتها بها أصواتها المقدسة ، وهي تتويج الملك ، وكان لها أن تعود الى قريتها . ولكن نفسها

وهو في السابعة عشرة من عمره أشرف ثقفي في زمانه كما يقول صاحب الأغاني ، وأقبل الحجاج وهو هو في نقد الرجال وتمييز الكفايات يعقد به آمالا كبارا ، وهو شجاعه على حداثة سنه للأمر الجليل بعد الأمر الجليل

لم يكد ينتصف العقد التاسع من القرن الأول الهجري حتى كانت الفتن التي صدعت وحدة الدولة الاسلامية من بعد معاوية قد ركدت ريحها ، فانتهت ثورة ابن الزبير بالحجاز ، وكسرت شوكة الخوارج بفارس ، وسكنت العاصفة الهوجاء التي أثارها ابن الاشعث بالعراق . هنالك عاود العرب حبهم القديم للفتح والتغلب . وكان الحجاج واضع سياسة ذلك الاتجاه الجديد ومنفذها ، فغزا قتيبة بن مسلم ما وراء النهر وأوغل فيها ، وتوطد سلطان الدولة ببلاد عمان ، وغزا موسى بن نصير المغرب وقرع أبواب الأندلس نفسها . وقد أراد الحجاج أن تأخذ ثقيف نصيبها من شرف هذه الفتوح الجسام ، فأغزى ابن عمه محمد بن القاسم السند التي هي مدخل ذلك العالم الزاخر بالناس والحافل بالخيرات ، والذي يسمى بلاد الهند

الحق ان الحجاج لم يبتكر سياسة غزو الهند فقد عرف هذه البلاد عرب شرق الجزيرة منذ الجاهلية ، وطالما ركبوا البحر الى شواطئها مستبضعين وتجاراً ، فلما قامت الدولة الاسلامية طمعوا في غزوها وتملكها . يروى صاحب فتوح البلدان ، ان عمر بن الخطاب ولى عثمان بن ابي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة ١٥ هـ فوجه أخاه الحكم الى البحرين ومضى الى عمان ، فأقطع جيشا الى تانه (قريب من موقع بومباى الحاضرة) فلما رجع الجيش كتب الى عمر يعلمه ، فكتب اليه عمر : يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ، وانى أحلف بالله ان لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم . وتتابعت غارات عرب البحرين من عبد القيس وغيرها على شواطىء الهند وجزائرها وخاصة جزيرة سيلان التي كان يقال لها اذ ذاك جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها . فن هؤلاء العرب من أقام في المقام بها ومنهم من عاد الى بلاده وملء يديه السبي الرائع والمغنم الوافر . هذا من ناحية العرب ، أما من ناحية الهند انفسهم فقد هاجرت منهم في الجاهليــــة طوائف الى رأس الخليج الفارسي وخدمت الدولة الفارسية القديمة ، فلما مصرت البصرة نزلوها وحالفوا من بها من العرب .

فلما كان زمن الحجاج أغزى عماله على مكران ثغر السند فكلهم كان ينكب او يقتل ، وأرض السند عبارة عن حوض نهر السند العظيم تنزلها قبائل عديدة قوية نذكر منها الزط والسيابجة والميد والبرهة .

وكان بالسند بلدان كثيرة منتشرة في اهضام الأودية ورؤوس الجبال . منها الديبل ، وكانت ثغر السند قبل كراتشي الحاضرة ، ومنها بيرون وراور والملتان ، وكانت هذه البلدان قوية غنية عامرة بمعابدها البوذية القديمة وخاصة معبد الملتان . قال البلاذرى : وكان بد الملتان تهدى اليه الأموال ، وتنذر له النذور ، ويحج اليه السند ، ويطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون ان صنما فيه هو ايوب النبي صلعم . اما من الناحية السياسية فقد كان يتوزع بلدان السند وقبائلهم عدة ملوك متقاطعي الكلمة مختلفي الأهواء ، وكان اقواهم سلطانا إبان غزو العرب للسند ملك يقال له داهر ، هو الذى أشجى قواد الحجاج وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة . والطريف ان مصرع هؤلاء القواد لم يحمل الحجاج على الجد في قتال داهر بمقدار ما حمله عليه استغاثة أمرأة عربية اعتدى عليها وعلى نسوة عربيات كن معها بعض قراصين البحر من اهل السند التابعين لداهر .

وذلك ان ملك جزيرة الياقوت فيما يروى البلاذرى ، أراد التقرب من الحجاج فأهدى اليه نسوة ولدن في بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا ، فعرض للسفينة التي كن فيها قراصين من ميد الديبل فاخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن من بني يربوع : يا حجاج ! وبلغ الحجاج ذلك ، فقال يا لبيك ! وارسل من فوره الى داهر يسأله تخلية النسوة . فأجاب بانه انما اخذهن لصوص لاقدرة له عليهم . فاغزى الحجاج اثنين من عماله ثغر السند فكلاهما قتل ، فاهتاج الحجاج وتجرد لقتال داهر ، وكان قد أعد محمد بن القاسم لغزو الرى فلما حدث ما حدث على حدود السند رأى في هذا الشاب من رأب الصدع وبدرك الثأر ، فرده عن غزو الرى وعقد له على مكران وثغر السند ، وأمره أن يقيم بشيراز حتى توافيه القوة التي أخذ يعدها لقتال داهر .

كانت هذه القوة مؤلفة من جيش واسطول ، اما الجيش فكانت عدته زهاء عشرين الف مقاتل منهم ستة آلاف فارس من جند الشام الذين كانوا عدة الدولة الاموية ومعولها والذين وطأوا للامويين اكناف ملكهم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . واما الاسطول فكان يحمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة . ومن هذه خمس مجانيق ضخام ، يقال لاكبرها (العروس) ويروى البلاذرى انه كان يمدفيها خمسمائة رجل . وبالغ الحجاج على عادته في اعداد الجيش حتى أنه . . . . جهزه بكل ما احتاج اليه من الخيوط والمسال وعمد الى القطن المحلوج فنقع في الخل الخمر الحاذق ثم جفف في الظل ، فقال اذا صرتم الى السند فان الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن

ثم اطبخوا به واصطبغوا ، ثم تقدم الى محمد الا ينقطع عنه اخباره بحيث يختلف البريد بينهما مرة كل ثلاثة أيام .

خرج محمد بن القاسم بجيشه من شيراز عام سنة ٩٠ هـ فسار مشرقا متبعاً ساحل البحر يطوي الحزون والسهول ، ويجوب الموامه والقفار ، ويحدوه ما يحدو الشاب الحي من حب للمجد وتعلق باسباب المعالي ، فتغلب على صحارى كرمان ومكران ، وبلغ الديبل سالما . ولم يكد يحط برحاله حتى كان الاسطول قد وافاه بها فشرع من فوره في مهاجمة المدينة . قال صاحب فتوح البلدان « فقدم الديبل يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وركزت الرماح على الخندق ونشرت الاعلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس كان يمد فيها خمسمائة رجل . وكان بالديبل (بد) عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل (سهم السفينة) راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور . . . . . . وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة ايام . فورد على محمد من الحجاج كتاب ان انصب العروس واقصر منها قامة ، ولتكن مما يلي المشرق ، ثم ادع صاحبها فمره ان يقصد برميته الدقل الذى وصفت لي ، فرمى الدقل فكسر ، فاشتد طيرة (جزع) الكفر من ذلك ثم ان محمداً ناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم وامر بالسلاليم فوضعت وصعد عليها الرجال . . . ففتحت عنوة . . . . وهرب عامل داهر عنها . . . . واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وانزلها اربعة آلاف » ، ثم سار محمد مصعداً مع النهر يريد داهر ، وعظم جيشه فاستولى على مدينة الرور صلحاً . وانضم اليه على اثر ذلك اربعة آلاف من الزط ، وصار كثير من قبائل السند عونا له في حربه مع داهر . ثم عبر نهر مهران والتقى بداهر وجيشه . وكان على فيل عظيم ومن حوله الجند على فيلة تنذر محمداً وجيشه بفتك ذريع ، ولكن محمداً اتقى شر الفيلة بقذائف النفط الملتهب يرميها فهاجت واحترقت وادجاها عن فيها من الجند ، وانتشب بين الفريقين قتال هائل انجلى عن قتل داهر وتمزق جيشه ، وتراجع فلوله الى مدينة برهمنا باذ . والتقى محمد اثر تلك الفلول فاستولى على مدينة راور فبرهمنا باذ نفسها ، ومن ثم زحف الى مدينة الرور فحاصرها اشهرا ثم دانت له على أن يحقن دماء أهلها وألا يعرض لبدهم ، وان يؤدوا اليه الخراج . وقد وفى لهم بشرطهم وبنى بالمدينة مسجدا . ثم قطع نهر بياس الى الملتان اعظم بلدان السند العليا فامتنعت عليه أول الأمر ثم استولى عليها بدلالة رجل من اهلها له ووضع يده على اموال جسيمة كانت بمعبدها البوذى .

كانت الملتان اقصى ما وصل اليه ابن القاسم من ناحية الشمال . قال البلاذري : « ونظر الحجاج فاذا هو قد انفق على محمد بن القاسم ستين الف الف درهم ، ووجد ما حمل اليه عشرين ومائة الف الف ، فقال : شفينا غيظنا وادركنا ثأرنا وازددنا ستين الف الف درهم ورأس داهر » .

اخذت الملتان سنة ٩٥ هـ وعلى اثر ذلك اتت محمداً وفاة الحجاج فقفل راجعاً نحو الجنوب مستولياً في طريقه على مدن لملوك آخرين غير داهر ، وكان آخر ما فتح مدينة يقال لها (الكيرج) استولى عليها عنوة سنة ٩٦ هـ ثم ناداه نعي الخليفة الوليد بن عبد الملك وولاية اخيه سليمان ، فلم يبرح تلك المدينة ، وقلب له الدهر من ذلك الوقت ظهر المجن ، واخذ نجمه في الأفول

لاشك أن الحجاج كان موفقا عندما عهد الى ذلك الشاب قيادة تلك الحملة الخطيرة . فان محمداً بحداثة سنه وصدق فروسيته قد ملك زمام اصحابه . فلا نسمع ان احدا منهم حدثته نفسه بخلاف عليه او عصيان له . ثم انه بهذه الخلال نفسها وبرجاحة عقله وسعة حلمه اجتذب قلوب اهل السند انفسهم ، فقد قارنوا بينه وبين ملوكهم المترفين المتجبرين المتخاذلين فلم يتمالك كثير من قبائلهم أن اعطاه الطاعة وأخذ جانبه في الحرب كما سبق القول . ويروى انه عندما شرط عليه اهل مدينة الرور الا يقرب بدهم وفى لهم بذلك وقال : « ما البد الا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس » وكانت حكومته ايام عادلة رفيقة اذا قيست بحكومة ملوكهم وامرائهم ، فقد تقدم الى عماله بهذه النصيحة : « أنصفوا الناس من انفسكم ، واذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية ، وراعوا في فرض الخراج مقدرة الناس على ادائه ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد » . ثم انه كان مدركا كل الادراك ان عليه واجبين عظيمين : عليه ان ينشر في البلدان التى فتحها الثقافة الاسلامية ، وان يصل بين الشرق والغرب الاسلاميين . من اجل ذلك كان اذا فتح مدينة أنزلها بعض اصحابه وبنى بها مسجدا . ومن اجل ذلك نقل طوائف من الزط والسابجة الى العراق فانزل الحجاج بعضهم كورة كسكر بفارس ، ووجه بقيتهم الى الخليفة ، فانزلهم انطاكية وسواحل الشام لينتفع بخبرتهم البحرية في قتال الروم . كذلك ارسل الى الحجاج فيلة سميت بعضها مشرعة الفيل التى كانت بواسط .

كما بعث اليه آلافاً من الجواميس السندية ، فاطلق الحجاج بعضها في آجام كسكر وكور دجلة ، وبعث كثيرا منها الى الخليفة فاطلقها في الآجام التي بين انطاكية والمصيصة ، واتفق بها سباع تلك الآجام وكانت قد كثرت وأخافت السابلة . وقد نمت هذه الماشية بالعراق على مر الزمن حتى اصبحت من اسباب ثروته الاقتصادية في الوقت الحاضر .

تلك غزوة محمد بن القاسم للسند . انها لاشك تذكرنا بغزو الاسكندر المقدوني لتلك البلاد نفسها في أخريات القرن الرابع قبل الميلاد . فالغزوتان تتشابهان من عدة وجوه : تتشابهان من حيث ان كلتيهما برية بحرية الى حد بعيد ؛ ومن حيث حداثة كلا الفاتحين وكفايته ؛ ومن حيث ان كليهما نجح في نشر ثقافته بالسند نفس المنهج الذي نهجه الآخر ، ومن حيث ان كليهما كان يهدي الى استاذه طرفا من طرف فتوحه ويراسله مستطلعا رأيه ، فالفاتح المقدوني كان يهدي الى ارسطو ويراسله ، والفاتح العربي كان يهدي الى الحجاج ويراسله مصدراً في بعض المواقف عن رأيه . ولو ان أهل السند الذين غزاهم ابن القاسم ، والذين قد يكون منهم من يدين بشرعة التناسخ ذكروا تاريخ بلادهم القديم لزعموا أنهم رأوا في الفاتح العربي الحديث انبعاث روح الفاتح المقدوني القديم .

° ° °

وبعد فماذا كان مصير ذلك الفاتح العظيم ؟ لقد جوزي جزاء سنمار وصار الى شر مصير فقد نكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك نكبة كان فيها تلف مهجته وبوار نفسه . والمصادر القديمة مختلفة في تعليل تلك النكبة : فالمصادر الفارسية ، وهي حديثة نسبيا وغير موثوق بها تزعم ان بنات داهر أفضين الى الخليفة بان ابن القاسم عبث بهن ، فاضطرم الخليفة غيظا وأمر بمحمد فوضع في أديم بقرة ثم خيط عليه الأديم وحمل الى دمشق ففاضت روحه بالطريق ، فلما بلغ بنات داهر مصرع الفتى استشعرن الندم وقلن انهن تجنين على ابن القاسم انتقاما ممن قتل اباهن وثل عرشه ، فاشتد غضب الخليفة عند ذلك وأمر بهن فقتلن شر قتلة : اما المصادر العربية وهي أقدم من المصادر الفارسية وأوثق فلا تذكر شيئا من أمر النسوة بل يؤخذ منها ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان مضطغنا على الحجاج لانه كان قد زين للخليفة الوليد بن عبد الملك خلع سليمان من ولاية العهد ، اما وقد فارق الحجاج هذه الدنيا فقد رأى سليمان ان يشفي غيظه من أقربائه متأثرا في ذلك بنظام الثأر عند العرب . وقد اذكى نار الحقد والموجدة في صدره رجلان كلاهما قد وتره الحجاج وكلاهما كان متأثرا بالعصبية القبلية بين قيس واليمن : احدهما يزيد ابن المهلب وكان اثيرا مكينا لدى الخليفة . والآخر صالح بن عبد الرحمن وقد ولاه سليمان خراج العراق .

عزل محمد عن السند وولى مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي فاخذ محمدا وقيده وسيره الى العراق مع رجل من بني المهلب على حال حركت قلوب اهل السند فبكوا عليه وصوروه اهل الكيرج بمدينتهم التي كان منها شخوصه ، وقد تلقى محمد المحنة صابرا محتسبا ولم يكن في محنته اقل شجاعة وصبرا وأنفة منه وقت الحرب وحين البأس والضرب انه على الخلاص اصحابه له وعطف السند عليه لم تحدثه نفسه بالخلاف والانتقاض . والظاهر انه ايقن ان قد ادى واجبه وان الحياة اصبحت بعد ذلك لغوا وفضولا لاطائل فيه . وقد جعل يسري عن نفسه بمقطوعات من الشعر ضمنها آلامه وخواطر نفسه . فمن ذلك قوله مشيرا الى انه لو اراد الثورة لشق على اعدائه نهضه .

ولو كنت اجمعت القرار لوطئت
  اناث اعدت للوغى وذكور

وما دخلت خيل السكاسك ارضنا
  ولا كان من عك على امير

ولا كنت للعبد المزوني تابعاً
  فيالك دهر بالكرام عثور !

ولما صار الى واسط حبسه صالح بن عبد الرحمن فقال :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
  رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب فتية فارس قد رعتها
  ولرب قرن قد تركت قتيلا

وعذبه صالح في رجال من اقرباء الحجاج حتى قتلهم ، فطفق الشعراء يرثون محمدا ويذكرون فضائله ، فمن ذلك قول بعضهم :

ان المروءة والسماحة والندى
  لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
  يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

وقال آخر

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
  ولداته عن ذاك في اشغال

تلك خاتمة فتى فتيان العرب وسيد فرسانهم غير مدافع . فمن مبلغ مسلمي الارض عامة والهند خاصة ان الدوحة الاسلامية العالية التي اظلت بلاد الهند طوال العصور الوسطى ، انما كانت غرس ذلك الفتى العربي النبيل ؟ فليذكر ذلك الذاكرون فقد تبل الذكرى رفات ذلك الشهيد في قبره ، بعد ان عدم من يحيا من عمد بلائه او يرحم شبابه ؟

... ثم أرادت أن يجعل منه رجلا!

للدكتور محمد عوض محمد

لقد قضى الأمر ، وزوجت منه ! ...

فيا للعجب ! كيف ألم بالدهر هذا الحادث الخطير ، والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف ، وتطوف من حول الشمس وتمعن فى الطواف ؟ . والقمر ؟ أجل والقمر لم يزل يتنقل بين منازله المقدرة له من الأزل .. فكيف اذن نزل ذلك الخطب ؟

أكبر الظن أن القمر المذكور هو سبب تلك النكبة . أجل هو وحده المسئول عن تلك الكارثة . فان ليلى قد التقت بأحمد من قبل مرارا ، فى وضح النهار ، فلم تر فيه الا فى حسن الصورة ، ولم تحس نحوه ميلا ولا حبا .. لكنها التقت به بعد ذلك على شاطىء النيل ، فى ليلة يلمع فيها بدر التم : فاذا القمر يوسوس فى صدرها ، ويثير فى فكرها الأوهام ، ويريها صورة ذلك الفتى ، وكأنها تمثال لكل ما يتوق اليه قلب المرأة التواق من سحر وجمال وشعر وأحلام

أما صوته المتكسر الواهى ، فكان يرن فى أذنيها كالموسيقى العذبة لكنها كانت من طراز موسيقى شوبرت الرقيقة ، لا موسيقى واغنر العنيفة القوية . ولقد ساورها الشك لحظة ، وأرادت أن تسأل نفسها : وأنى لرجل كامل الرجولة أن يكون فى صوته كل هذه الرقة وهذا التكسر ؟ لكن القمر لم يدعها طويلا تتلاعب بها الشكوك ، بل أوحى اليها بسرعة أن ذلك من أثر العشق الذى استحوذ على أحمد ، فرقق من صوته وأكسبه كل هذا اللين والعذوبة والخور !.

وكان القمر فى هذا كاذبا ؛ والحقيقة أن أحمد كان من ذلك الجنس الناعم الخائر الذى يبرأ منه الرجال والنساء على السواء .

فلم تنقض تلك الليلة المقمرة الساحرة حتى كان الحب مالئا قلب ليلى ؛ وقد جعل على عينها غشاوة لن يزيلها الا تعاقب الليل والنهار .

وهكذا تم النصر للقمر الماكر ! وياليت الزهرة كانت فى السماء تلك الليلة ، اذن لمحضت ليلى النصح ، وفتحت عينها لما هو محدق بها من الخطر ! لكن الزهرة لم تكن – بالأسف – فى السماء . وهل فى الدهر سواها نصير للفتيات يرد عنهن الغوائل ، ويهديهن سواء السبيل ، ويأخذ بأيديهن كى لا يترددين فى كل هوة عميقة ؟ أما القمر فنصير الفتيان ، وعلى الخصوص أولئك الشبان الخائرون المتكسرون ، الذين يشبهونه بوجوههم المليحة الناعمة الشاحبة الخالية من كل قوة وخشونة . ولم تك إلا أسابيع قلائل ، حتى زوجت منه وقضى الأمر ! والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض ما انفكت تدور حول محورها المائل المنحرف

.

ثم كان شهر العسل !

فأما الشهر فلم يكن كشهرى وشهرك أيها القارىء ، مؤلفا من ثلاثين يوما ، أو واحد وثلاثين يوما على أكبر تقدير . بل لقد استطاع الحب – وهو ذلك الساحر البارع – أن يمده بعصاه ، فاذا هو يمتد من أول مايو الى آخر اكتوبر : وإن يوما عند الحب كألف يوم مما تعدون !

هذا ما كان من أمر الشهر ! وأما ما كان من أمر العسل فقد كان أريا شهيا ، وشهدا جنيا ، وحلاوة وعذوبة ليس وراءها حلاوة ولا عذوبة ، وخمرة سائغة ، لم تتناولها بالتحريم شرائع السماء ، ولا قوانين الولايات المتحدة .

وظلا غارقين فى ذلك البحر الخضم ، فلم تنتبه ليلى ، ولم تشأ أن تنتبه . وان كان فى الغرق كل هذه السعادة والنعيم ، فالويل لمن يفكر فى انقاذ الغرقى !

ويقول الناس : ان الحب يعمى ويصم ، وأنا أربأ بالقارىء أن يكون ممن يرون هذا الرأى ، فان العمى والصمم هما – فيما يقال – عاهتان ، وما أبعد الحب – وأبعده به ! – أن يكون سببا للآفات والعاهات ! وانما الصواب أن نقول ان الحب يضع على العينين عصابة من ذلك الطراز الجميل الذى يعصبون به عينى الثور حين يدور بالساقية ، فلا يزال يدور ثم يدور ، وهو يحسب نفسه قد طاف حول الكرة الأرضية .

وكذلك قد صور الحب لليلى أنها قد طافت العالم وأحرزت الدنيا بأسرها .

كل هذا ، والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف

***

ثم لم يكن بد من أن يجىء اليوم الهائل المحتوم ؛ بعد أن ولى الربيع ، وذهب فى اثره الصيف ، وأتى بعدهما الخريف الذى لايدارى ولا يمارى ، بل يظهر الحقيقة عارية مجردة جافة .

وفي يوم من أيام الخريف بسط الدهر يديه القويتين فجأة، وكشف الغطاء عن عيني ليلى؟

نظرت، فلم تصدق الرؤيا التي رأتها... أجل وقد حسبتها رؤيا مما يراه النائم، الغارق في نومه. وكبر مقتاً عندها أن يكون هذا ما تراه هي.. حتى في الحلم... فجعلت تغمض عينيها، ثم تفتحهما، مرارا... لا! انها ليست نائمة، وهذا الذي تراه ليس حلما!.. هي الحقيقة اذن؟ أجل وليس بمجديها أن تحاول انكارها..

صحيح اذن أنها رضيت أحمد هذا زوجا، وأنه ـ يالهول! ـ قد شغفها حبا فلم تكترث للناصحين والعذال.. رضيت بذلك الكائن الممسوخ زوجا، ليكون لها في الحياة رفيقا وعدة وذخرا. ذلك المخلوق ألين المتكسر الخائر، الذي ليس في قلبه همة، ولا في رأسه نخوة، ولا مطمح له في الحياة ولا مأرب. ولا عزمة له ولا إرادة! ان الناس تصفه ظلما بأنه يشبه النساء، وهذا كذب؛ بل كفر بل شر من الكفر!. ان النساء أجل وأكرم من أن ينتسب اليهن هذا المخلوق؛ هذا اللين المتخنث، هـــذا الناعم الخائر، هذا التافه ذو الوجه (الكارت بوستال). ذو الصورة السينمائية الفاترة، الخالية من كل روح ومعنى.

أمثل هذا الشيء تجن هي؟.. ليلى؟ ليلى التي طالما جشم أبوها نفسه وجشمها كل عناء وبلاء في سبيل تأديبها وتثقيفها، لا يألو في ذلك جهدا ولا مالا ولا وسيلة! ألم يهيء لها الأسباب لتلقي العلم في مصر على خير أساتذة مصر، وفي انجلترة في خير معاهد انجلترة وأعظمها جميعا؟.. أجل وما أشد سرورها يوم ألفت نفسها، وهي بنت النيل، في نيونهام كولدج تتلقى العلم هي وبنات البلاد جنبا لجنب! وكان نجمها الساطع محلقا في السماء لا يعلو عليه نجم، ولها بين صواحبها منزلة ومكانة وشهرة قد جاوزت نيونهام الى جميع دور العلم بكامبردج! وملأ الاعجاب بليلى المصرية صدور الشباب من الطلبة، والشيب من الاساتذة المحنكين.. ولقد طالما حاول الكثير من كرام الشبان ان يتقرب اليها، فكانت ترده في حزم ولطف وتواضع لم يزدها الا سموا وتقديرا..

ثم تلك الرسالة البديعة التي كتبتها عن الفلسفة العربية؛ فكانت نصرا باهرا، وتاجا رائقا لتلك السنين الخمس، التي قضتها في جد ودأب لا تعرف الدعة ولا الهوادة.

وهبطت مصر، تزدحم في صدرها الآمال، وتريد أن تتبوأ مكانها بين قومها لكي تعمل على نصرهم وسؤددهم، بكل ما أوتيت من قوة وهمة؛ ولم تجد بأسا في أن يكون لها في جهادها العنيف رفيق يشد أزرها ويقوي ساعدها. ولم تكن ليلى من النساء اللواتي أغلقن قلوبهن دون الحب... ماج قلبها... ولكن شاءت المقادير العجيبة أن يكون رفيقها الذي تختاره ويرتضيه هو ذلك المخلوق الناعم الخائر ذلك اللين المتخنث، ذو الوجه الكارت بوستال

والشمس ما زالت في السماء تجري لمستقر لها، والأرض ما برحت تدور حول محورها المائل المنحرف.

وجلست ليلى وهي تطل من نافذتها، تنظر الى النيل اذ يدفع تياره من الجنوب الى الشمال، والى أشجار الصفصاف، وقد تدلت غصونها الى الماء كأنها عبرات نـيل؟ والى السحب الحمراء قد خلفها الغروب. ومن دونها الأهرام قائمة على الأفق. والى الزهرة في السماء تتألق وترقص بين السحاب.

أدركت ليلى أنها أخطأت.. أجل أخطأت برغم كل ما وعاه صدرها من علم وأدب وحكمة وفلسفة. وارتكاب الخطأ حق طبيعي لكل رجل. بل ولكل امرأة أيضا.. الحيوانات لا تخطيء، لأنها تصدر في أعمالها عن الغريزة، والغريزة معصومة عن الزلل. أما أبناء آدم وبناته فيصدرون عن العقل، وهو كثير العثرات.

اذن ليس بدع أن تكون ليلى قد ارتكبت خطأ، وليس بعد الخطأ الا محاولة الاصلاح.. لكن كيف السبيل الى اصلاح هذا الخطأ؟ ليست الأمراض سواء في قبولها للعلاج، وليست الأخطاء سواء في قبولها للاصلاح.

حاولت ليلى أن تتلمس الالهام مما تعلمه من حكمة وفلسفة. ولكنها لم تلبث أن تبينت أن ليس هذا بمجديها نفعا. ان للفلاسفة في هذا الموضوع الخطير آراء قلما تسمن أو تغني...

. ان (نيتشه) الذي نحبه لم يتزوج، و (كانت) العظيم عاش عمره الطويل لم يتزوج، وأبو العلاء لم يجن على أحد، و (شوبنهاور) كثيرا ما كان يؤثر صحبة الكلاب على الخلان والاصدقاء. وسقراط وافلاطون؟... أولى بها ألا تفكر الآن في سقراط وافلاطون... لا.. ليس نافعها أن ترجع الى القدماء، كي يحلوا لها مشكلتها الحديثة.. لابد لها ان تركن الى نفسها وأن تعتمد على فلسفتها هي..

أجل وان لها في هذا الامر لفلسفة خاصة، ورأيا ستحاول انفاذه: انها سوف تصلح أمر أحمد، وسوف تقوم معوجه، وسوف تجعل منه رجلا... هذا المرام البعيد، الذي يراه الناس محالا، كانت تحس في أعماق صدرها أنه ليس بمحال. أتراها

وفقت الى العثور على ذلك الحجر العزيز : حجر الفلاسفة فأمست قادرة على أن تحيل الخسيس نفيسا ، والدنىء رفيعا ؟

كلا ! ان ليلى لن تحاول أن تنال بغيتها عن طريق المعجزات : بل لقد رأت فى أمر زوجها رأيا ، حسبته رأيا سديدا ، وكان وليد تدبير طويل ، وتفكير عميق .. رأت أن أحمد تعوزه الرجولة ، فى مظهره ومخبره ، فى جسده وفى روحه ، فى حركاته وتفكيره . وقد علمت أن ليس اصلاح الروح بالشىء اليسير : لكنها تستطيع — على الأقل — أن تكسبه مظهر الرجال . فلتأمره اذن — وهو لها طيع ذلول — أن يلبس الخشن من الثياب : وأن ينعل الخشن من الأحذية : وأن ينطلق الى ضيعة أبيها فيقيم هنالك شهرين أو ثلاثة أشهر : يعمل فى حقولها كل يوم ، حارثا وزارعا وحاصدا ، وعليه أن يرسل لحيته وشاربه حتى يغطى الشعر وجهه ... ثم يعود اليها بعد ذلك ، وقد لبس حلة الرجولة سابغة شاملة : فمن يد خشنة الملمس ، الى ذراع قوية متينة : الى وجه قد لوحته الشمس يكسوه شارب طويل ولحية مرسلة . أما صوته الناعم الفاتر ، فلا بد أن يكتسب شيئا من الخشونة من كثرة ندائه للثيرة ، وصياحه خلف المحاريث

وكانت ليلى تعلم أن هذه كلها ظواهر ، ليس فيها نفع ولا غناء ، ولكنها كانت مؤمنة بان اصلاح العرض سيفضى الى اصلاح الجوهر ، واصلاح الاناء وسيلة لاصلاح الشراب : وأن أحمد لايلبث ان يكتسب مظهر الرجولة ، حتى تتسرب بعد ذلك الى لحمه ودمه بفضل مابين الروح والجسد من رباط متين .

وأحسبها قد اقتبست هذا الرأى من بعض مادرسته من فلسفة وحكمة ؛ لكنها كانت أشد ايمانا به من الحكماء الذين قالوا به . وما هى الا أيام قلائل حتى مضت فى تنفيذه . فانطلق احمد الى الريف وبقيت ليلى وحدها الليالى والأيام ترقب دورة الفلك :

. والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقرها ، والأرض مافتئت تدور حول محورها المائل المنحرف ...

* * *

وفى مساء يوم عبوس متجهم من أيام أمشير : تلبدت السماء بسحاب أسود قاتم ، وكان يعدو من المغرب الى المشرق : طبقات بعضها فوق بعض ؛ تحمله فى السماء ريح عاصف .. وعلى الأرض زعزع نكباء تثير الموج على صفحات النيل ، وتهز جذوع الصفصاف هزا عنيفا ، وقد ثارت الزوابع تحمل العثير المطار الى كل عين وكل انف .. ومشت ليلى نحو النافذة فأغلقتها فى بطء شديد وحزن شديد ، مطأطئة رأسها فى كآبة وكمد . ثم سقطت على سرير ممدود وجعلت تسفك العبرات وتعول بالبكاء .. بصوت لولا دوى الريح لأسمع من بالدار . وما أشد حاجتها فى ذلك المساء الى الوحدة والى البعد عن الناس والى البكاء تطفىء به ذلك الجحيم المستعر فى صدرها وفى أحشائها !

مسكينة ليلى ! ان فلسفتها قد خابت ؛ وتجربتها قد فشلت ! وكل هذا التقدير والتدبير والسعى والاحتيال لم يصادف الا حبوطا أليما ، وخيبة قاتلة . ان الداء كان عضالا ؛ والسم قد سرى الى الرأس والأوصال ؛ والعرق والعصب ؛ فاستفحل واستمكن ؛ ولات حين علاج ، ولات حين شفاء ...

واختلط الحزن فى قلبها ؛ وألح عليها من كل جانب ، فليس يدرى أى خطبيها أشد وأقتل : فشل تلك التجربة وذلك الرأى السديد الذى حسبته زبدة الحكمة وخلاصة الفلسفة ، أم كارثتها فى هذا المخلوق الذى بات حتما عليها أن ترضاه ، وهو دون الرضى : وأن تعتمد عليه فى الحياة ؛ وهو ذلك الرطب العاجز المائع

لقد فشل تدبيرها فشلا ذريعا ؛ فان المسكين لم يطق الريف ، ولم يلبث أن اسأمه وأضناه ؛ فقضى أيامه هناك بين سقم ، وبين الافاقة من سقم ، حتى أشفقت عليه ليلى وأذنت له أن يعود .. أما ذلك الشعر القليل الذى نبت على خديه وشفتيه ، فلم يك الا غثاء رقيقا تافها ؛ لم يقربه من الرجولة قيد شعرة .

مسكينة ليلى ! ان الرزء الذى رزئته لشديد . ولم يبق لها من وسيلة تتوسل بها سوى الصبر . والصبر أوهى الوسائل ... وما أشد حاجتها لأن يكون لديها من هذه الوسيلة الواهية ذخيرة لاتنفد ، ذخيرة تكفيها العمر كله ... لابد أن يكون فى العالم شهداء يحملون الارزاء ، فلا رأى اليوم الا أن تكون كاحدهم . ولئن كان رزؤها هــــذا من صنع يديها ؛ فما أحقها بحمله والاضطلاع به .. مدى الحياة !

لقد سخرت منها المقادير ، حين أرتها الحياة حلما زاهيا ، وزهرا نضيرا ، واليوم وقد آن للزهر أن يحول ثمرا ، وللدوحة أن تؤتى أكلها ، اذا الاقدار تسلط عليها هذا السقم العضال يذوبها ويفنيها لم يبق لها بد اذن من ان تودع هذه الأحلام جوف الثرى ، فى غير رحمة ولا هوادة ، وتستقبل هذا العهد الجديد ، عهد الشهداء الصابرين فى قوة وجلاد :

لاجرم ان الانتقال الى تلك الحال ليس بالشىء اليسير ، ولكن

العرب والفرس قبل الاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام

سأجمل فى هذا المقال ، مايعرفه التاريخ وترويه الأساطير من الصلات بين العرب والفرس قبل الاسلام ، وعسى أن يكشف التاريخ عن صلات أخرى بين الأمتين ، أو يبين عن حقائق تفسر بعض هذه الأساطير

ويمكن تقسيم الروايات الى قسمين : ماقبل العهد الساسانى وهى أساطير ، وما بعده وهى تاريخ أو قريب من التاريخ

قبل عهد الساسانيين

الأساطير تتفق عليها الكتب العربية والفارسية ، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامة للفردوسى ، ومنها :

١ — أسطورة الضحاك

وإجمالها أن الضحاك هذا كان ابن أمير عربى من امراء اليمن اسمه مرداس تمثل له الشيطان فى صورة شاب صبيح وزين له قتل أبيه فقتله . ثم تمثل له فى صورة طباخ وأعلمه أنه حاذق فى تجويد الأطعمة ، خبير بأصنافها ؛ فاتخذ الضحاك طباخا له فطبخ له اللحم ، وكان الناس من قبل لايأكلونه ؛ فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التى قدمها له طباخه فقربه وركن اليه .

ثم سأل الطباخ سيده أن يأذن له فى تقبيل كتفيه ، فقبلهما ثم ساخ فى الأرض فلم يعرف أثره ، ونبت على منكبي الضحاك سلعتان كأنهما حيتان . فدهش لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا فى أمرهما الى دواء . وكان الضحاك يحس لهما وجعا . فتمثل الشيطان فى صورة طبيب وأشار على الأمير أن يطلى السلعتين بأدمغة البشر ؛ ففعل وسكن الألم ؛ فدأب على ذلك لا يستريح الا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماغهم حيتيه .

وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبر وادعى الألوهية ؛ ففزع الفرس الى الضحاك يستعينونه ، فسار اليهم فى جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله . ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد ودعا الناس الى تمليك أفريدون . وحارب أفريدون الضحاك فهزمه ، ثم أخذه فقيده وسجنه على جبال دماوند . ويقال ان جاوه الحداد حينما أزمع الثورة أخذ الجلدة التى كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها فى عصا وجعلها علم الثورة ؛ واتخذها الفرس من بعد لواء مقدسا سموه « العلم الجاوى » (درفش كاويانى)

واذا نظرنا الى تواريخ الشهنامة وجدنا الضحاك يتملك على ايران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة : وذلك يوافق عهد الدولة البابلية . فان كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهى تسلط الساميين على ايران . ويؤيد هذا أن كتاب الأبستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بورى وهى بابل ، وكذلك نجد فى نزهة القلوب للقزوينى أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمروذ

وقد أشار الى قصة الضحاك ابو تمام اذ قال :

ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته ... بالعالمين وأنت أفريدون

وافتخر أبو نواس بالضحاك فى قصيدته التى يفخر فيها بقومه القحطانيين:

وكان منا الضحاك يعبده الـ ... ـخابل والجن فى مساربها(١)

٢ — وفى الشاهنامة وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوج أبناءه الثلاثة (تورا) و(سلما) و(ايرج) من ثلاث بنات للملك من ملوك اليمن ، وافريدون عند الآريين يشبه نوحا عند الساميين . نسل من ابنائه الثلاثة خلق كثير ، فتور ابو ملوك توران ، وايرج أبو ملوك ايران وسلم أبو ملوك الروم ، فالمصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من بنى أفريدون

٣ — وكذلك نجد فى الاساطير الفارسية أن مهراب ملك

(١) انظر فصل الضحاك فى الشاهنامه وتعليقاتها

لعل اسابيع تقضيها — هى — فى الريف ، فى عزلة وتفكير ، ان تعدها لهذا العهد الجديد ، هذا العهد القاسى الشديد .

ونهضت متماسكة من سريرها ، وسارت الى النافذة ففتحتها ؛ وجلست على كرسى صغير بجانبها . . . وجعلت تنظر إلى الغيث وقد أخذ ينهمر مدرارا ، والى الرياح وهى تميله يمينا وشمالا . .

ثم أخذ ينهمر على خديها مطر ، غزير ، لم يكن مما أسقطه السحاب ، أو دفعته الرياح . . .

والشمس من خلف الأفق تجرى لمستقر لها ، والارض ، مابرحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

فيا عجبا لهذا الكوكب السخيف ! كيف آثر الانحراف على الاعتدال ، والميل على الاستقامة ؟

محمد عوض محمد

كابل فى عهد الملك منوجهر ، فى من نسل الضحاك . وأن (زال) بن سام تزوج بنت مهراب فولدت له رستم بطل أبطال الفرس ، ورستم اذن له خؤولة فى العرب

٤ — ومن الروايات التى هى أقرب الى التاريخ مما تقدم حرب كيكاوس وملك هاماوران (حمير) وأسر كيكاوس فى بلاد اليمن، وتنازع أفراسياب ملك التورانيين والعرب على ملك ايران ، ثم ذهاب رستم الى اليمن وتخليص كيكاوس . ويقول أبو نواس فى القصيدة التى ذكرتها آنفا .

وقاظ (١) قابوس فى سلاسلنا   سنين سبعا وفت لحاسبها

وكان كيكاوس ، فى القرن العاشر قبل الميلاد فى حساب الشاهنامه .

وفى بعض الكتب العربية أن ملك اليمن اذ ذاك كان ذا الأزعار ابن أبرهة ذى المنار بن الرائش

٥ — ومما تقصه الروايات فى هذا العهد عهد الكيانيين الحرب بين داراب وبين رجل عربى اسمه شعيب بن قتيب . وداراب هذا هو ، فى غالب الظن ، داريوس أخوس (٤٢٤ — ٤٠٤ ق م)

وأعظم الحوادث فى عهد الساسانيين وهو أقرب الى التاريخ وكثير من حوادثه واقعات تاريخية :

ب — بعد عهد الساسانيين

١ — قصة سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م) وملك الحضر ، وهو الضيزن بن معاوية القضاعى ، أو الساطرون كما فى بعض الكتب . وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته ، فسار سابور اليه وحاصر الحضر حتى استولى عليه بخيانة بنت الضيزن .

والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلا من دجلة نحو الغرب ازاء تكريت ، وعلى مائتى ميل الى الشمال من بغداد . ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها . ويقول الهمذانى فى كتاب البلدان :

« كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها ؛ وكان فيها ستون برجا كبارا . وبين البرج والآخر تسعة صغار » ويقول ياقوت :

« فاما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر الا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله . » وقد حاصره الامبراطور تراجان وسفريوس فلم يقدرا عليه .

وقد روى ياقوت فى قصة الحضر شعرا لعدى بن زيد والأعشى وروى الطبرى شعراً لأبى دؤاد الايادى (١)

والشاهنامة تجعل الواقعة فى زمن سابور ذى الأكتاف وتخلط بعض الحادثات ببعض .

٢ — ومن ذلك ماوقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضا : فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفراً من حرب فلريان أمبراطور الروم ، فانهزم الجيش الفارسى وتعقبه أذينة الى أسوار   . وقد اغتبط الروم بما فعل أذينة فأثابوه ولقبوه « اغسطس » .

٣ — ومنه قصة سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩) والعرب .

يروى أن بعض العرب أغار على بلاده فحاربهم فى خوزستان ثم عبر الخليج الى البحرين وهجر واليمامة ؛ ثم سار الى الشمال فحارب بنى بكر وغيرهم ، وأنزل بعض القبائل غير منازلهم :

أنزل بنى تغلب بدارين والخط
وبعض بكر بصحارى كرمان
وبعض عبد القيس وتميم فى هجر واليمامة
وبنى حنظلة بالصحارى التى بين الاهواز والبصرة

ويقال انه سمى ذا الاكتاف لأنه خرق أكتاف الأسارى من العرب ونظمهم فى الحبال

— وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما اياد وبين سابور بن سابور ذى الاكتاف . ذكر بعضها المسعودى فى الجزء الاول من المروج . وفيها يقول بعض الشعراء :

على رغم سابور بن سابور أصبحت   قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقول الحارث بن جنده (الهرمزان) :

هم ملكوا جميع الناس طراً   وهم ربقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أبا قابوس عصبا   وهم أخذوا البسيطة من اياد

وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما ربيعة التى كانت تسمى ربيعة الأسد لجرأتها على الأكاسرة

٤ — والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة الساسانية فى القرن الثالث الميلادى ليست فى حاجة الى البيان ، حسبى أن أذكر من الحوادث مايبين عن مكانة المناذرة فى دولة الفرس وقوتهم :

عهد يزدجرد (٣٩٩ — ٤٠٢) الى المنذر الاول بتربية

---

(١) قاظ المكان أقام به

(١) انظر ياقوت . الحضر ، والطبرى : سابور .

ابنه بهرام فنشأ فى الحيرة حتى بلغ الثامنة عشرة ، وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل فى الرمى بالنشاب . ثم رجع الى ابيه فغلبه الشوق الى الحيرة . حتى توسل برسول ملك الروم الى ابيه ليأذن له فى العودة الى الحيرة فبقى بها حتى توفى يزدجرد . وازمع اعيان الفرس الا يولوا من بنى يزدجرد احداً . فأيد المنذر وابنه النعمان بهرام وامداه بالجند حتى ارغما الكارهين على تمليكه .

وفى روايات الأدب الفارسى أن بهرام هذا أول من شعر بالفارسية ، أخذ الشعر عن العرب . وفى كتب الأدب شعر فارسى مروى عن بهرام ، وكذلك تروى الكتب العربية شعراً عربياً كما روى المسعودى فى المروج :

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها ... وماخير ملك لايكون له حامى

ويروى المسعودى أبياتا أخرى ويقول : « وله أشعار كثيرة بالفارسية والعربية أعرضنا عن ذكرها فى هذا الموضع طلباً للايجاز .

وقد حارب المنذر الرومان انتصاراً للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م ، وكذلك حاربهم المنذر الثالث ابن ماء السماء وتعقبهم الى أنطاكية حتى استنجد جستنيان الحارث الأعرج الغسانى ، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابناً للحارث فقربه للعزى (صنم) وانتهت بقتل المنذر فى موقعة عين أباغ أو يوم حليمة .

٥ — وفى عهد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بفتنة مزدك أغار الحارث بن عمرو الكندى على الحيرة وأخرج منها المنذر ابن ماء السماء ، وصادف ذلك هوى فى نفس قباذ فأيد الحارث . ويروى انه أرسله لحرب أحد تبابعة اليمن ، فلما ولى كسرى أنوشروان رد امرة الحيرة الى المنذر .

٦ — وفى عهد كسرى برويز حوالى ٦١٠ م كانت موقعة ذى قار . وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس . وطلب ودائعه عند هانىء بن مسعود الشيبانى فأبى اسلامها ، وكان كسرى قد ولى اياس ابن قبيصة الطائى على الحيرة . فسار اياس فى جموع من الفرس والعرب : طىء وبهراء واياد وتغلب والنمر ، فلقيهم بنو شيبان فى جموع من بكر : ووقعت الحرب وتمادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذى قار ، ودارت الدائرة على الفرس وأنصارهم .

وفى يوم ذى قار يقول ابو تمام يمدح ابا دلف الشيبانى :

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ويقول مادحا يزيد بن مزيد الشيبانى :

أولاك بنو الافضال لولا فعالهم ... درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد ... وحيد من الاشباه ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم أنه ... به أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو المشهد الفرد الذى ماتجا به ... لكسرى بن كسرى لاسنام ولاصلب

هذه صلات الفرس وعرب الشمال . وكان للفرس مع هذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقى واليمن :

حاول الحبش الاستيلاء على اليمن فى القرن الثانى الميلادى واتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه فى القرن الثالث ، ثم أخرجهم الحميريون ، فلما تنصر الحبش فى القرن الرابع أيدهم الرومان على الحميريين ففتحوا اليمن سنة ٣٧٤ . ويظهر أن الفرس طمحوا الى اليمن منذ ذلك الحين : فقد كان النزاع الذى شجر بينهم وبين الروم منذ قامت الدولة الساسانية حريا أن يلفت الفرس الى اليمن بعد أن تألب عليه أعداؤهم الألداء والحبش . ولسنا ندرى من أخبار الفرس فى اليمن شيئا قبل القرن السادس الميلادى اذ تهود تبع ذونواس وأكره النصارى على التهود وعذبهم ، فغضب لهم الروم والحبش وأمد الامبراطور جستنيان الحبش وسلطهم على اليمن : حتى استغاث سيف بن ذى يزن كسرى انو شروان فأمده بجيش حملته السفن فى الخليج الفارسى الى عمان : ثم سار فى البر وانحاز اليه أهل اليمن فهزموا الجيش ، وتولى الفرس البلاد وجعلوا عليها أميرا عربيا فقتله حرسه الحبشى فاستقل بأمر البلاد ولاة من الفرس توالوا عليها حتى جاء الاسلام والوالى يومئذ باذان . وقد أسلم الفرس فى اليمن وأخلصوا للاسلام وكانوا عونا على الثائرين فى حروب الردة وهم قتلوا الأسود العنسى ؛ وعرف من رؤسائهم النعمان بن بزرك وفيروز الديلمى ومركبود ، وهو أول من حفظ القرآن فى صنعاء فيما يقال .

وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاء الاسلام وفى اليمن فرس مستوطنون ومرزبان اسمه سيبخت ، ويروى أن الرسول

سـؤال . .

ــ الى الاستاذ الزيات والى ادباء الرسالة ــ

...

سيدي الأستاذ

انى ــ وان لم أتشرف بمعرفتك ــ أمت اليك بصلة الرحم. فانا من صغار أسرة أنت من كبارها . ولى عليك حق الصغير على الكبير . يسأله ويفيد منه . ويلح فى هذا السؤال ويناقش من أجل هذه الفائدة . ويكون فى سؤاله ومناقشته . واقفاً عند حد الأدب . متنكباً سبيل التكلف و (الرسميات) .

أفتأذن لى فى ذلك :

اذن فأخبرني ياسيدي . هل تنشر الآثار الأدبية ، أذ تنشرها فى رسالتك ، لانها وافقت خطة معروفة اختطتها لنفسها الرسالة فى الأدب : وطريقة معينة اتخذتها ، أم أنت تنشر كل جيد يبعث به اليك ، لاتبالى منه الا بشرف القول ؛ وحسن الأداء ، والبلاغة فى التعبير عن الغرض ــ وهل تفعل هذا الى أمد قريب ثم تطلع على الناس بخطتك الادبية ، وتحمل كتابك عليها ، أم أنت تفعله أبداً ؟ ــ ثم ــ ألا ترى ياسيدي أن الأدب العربى قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص . ويكون له عند أهله بكل خطوة حظوة وان الايمان به قد خالط قلوب الادباء . فلم يعودوا من المؤلفة قلوبهم الذين يسترضون ويعطون لئلا يجنحوا الى الردة بعد الايمان ؟ وأن من مصلحة هذا الادب . بل من الواجب فيه أن يتفق طائفة من شيوخه وقادته على مذهب واحد فيه . ثم يعلنوا هذا المذهب للناس . ليتبعوه ويؤثروه ؟

ومذاهب الادب كثيرة . ولكنا منها بين اثنين : مذهب (الأدب للفن) ومذهب (الأدب للحياة) :

انعمل وغايتنا (الجمال الفنى) وحده . وسواء لدينا أ كان هذا الجمال فى قطعة ماجنة ، أم فى قصيدة شعوبية ، أم فى مقالة ملحدة ؟ وسواء لدينا أ كانت القطعة الجميلة تصور آلام النفس وآمالها . وصور الحياة وإشكالها ، فتصدق فى هذا التصوير . ام (تخلق) من نفس صاحبها دنيا غير هذه الدنيا . وعالما غير هذا العالم ؟

ام نعمل وغايتنا تسخير الادب للقضية الكبرى ، واتخاذه عدة على تحقيقها ، ووسيلة من وسائل الاصلاح الاخلاقى والسياسى والاجتماعى . وبالعبارة الثانية وسيلة الى الحياة ؟.

ثم ... الا ترى يا سيدى ان هناك حقيقة اسمى من الحقيقة الفنية . وواجبا أعلى من واجب الفن هو الواجب الوطنى . واجب (السعى للحياة وخوض معركة التنازع على البقاء) وانه لايجوز لنا ان نقول بمقالة بعض الفرنجة (الفن للفن) لان هذا هو القياس مع الفارق .

فان لأولئك مدافع واساطيل ، وان لهم كياناً واستقلالا ، ونحن قوم يبنون لأنفسهم كيانا واستقلالا ، فيجب ان نجمع قوانا كلها على هذا البناء ، وان نجعل الادب فى مقدمة هذه القوى ، ونجعل الحوادث القومية موضوعا لآثارنا ، او لطائفة من آثارنا الادبية

وكيف لعمرى يهيج الشاعر العربى ويضيق الدنيا عليه حبيب يعرض عنه ، وليلة وصل يخسرها ، وابتسامة تحتجب عنه نورها ، ولا يهيجه ويوله مجد كان ينطح السماء انهار فى الاندلس ، وامل كان يملأ الدنيا ضاع فى بواتيه . وأمة بقضها وقضيضها تفنى اليوم فى فلسطين . ؟!

ايجوز للشاعر وهو قلب الامة الخافق ان يعيش فى نفسه ،

الله عليه وسلامه كتب اليه فاسلم ، وكان لفيروز المعروف بالمكعبر زعامة فى حروب الردة هنالك .

وكانت التجارة تتردد بين بلاد الفرس واليمن فى خفارة قبائل لما جعل من ملوك الفرس : قال صاحب الأغانى فى الحرب التى كانت بين بنى تميم والفرس وأحلافهم : « واما ما وجد عن ابن الكلبى فى كتاب حماد الراوية ، فان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير ، وكان باذان على الجيش الذى بعثه كسرى على اليمن : وكانت العير تحمل نبعا فكانت تبذرق (١) من المدائن حتى تدفع الى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن على الحنفى فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بنى حنيفة ثم تدفع الى سعد (من تميم) وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عمال باذان باليمن » (٢)

هذا خلاصة ما ترويه التاريخ والأساطير : ولعله يكون مقدمة لبحث واسع مفصل فى صلات الأمتين العظيمتين قبل الاسلام ؟

(١) البذرقة : الخفارة (٢) ١٦ ص ٧٥

٥٥ ١

ويقنع باحلامه وعواطفه ؟ ايعقل ان يعيش قلب منفردا متبوراً لا تربطه بالجسد رابطة ؟

الشاعر قائد فى أمته، فهل يجوز للقائد ان يدع جنده، ويترك حربه ويغفل عن النار والحديد. ثم يجلس ليحلم بطيف حبيبه. أو يبكى على انه لم يمنحه جسمه ساعة من زمان. أو يجلس ليصف (الجمال الفنى) فى ساحة المعركة ؟..

الأمة العربية جمعاء فى نضال على الحياة. فكيف يفر الأديب من المعركة فيصب وهو الجندى الاول فيها مواهبه، وقوته على قدمى امرأة ؟

او لست تعلم ياسيدى أن زعماء الفن الرومانطيقى فى اوربا كهوجو ولامارتين، كانوا فى رأس الوطنيين العاملين، والخطباء المفوهين. وكانوا اذا جد الجد شمروا عن ساعد العمل، واذا امن الناس ووضعت الحرب اوزارها ناموا لحلموا، فكان هذا الادب مجموعة احلامهم فى منامهم ؟ ان لامارتين نفسه يقول:

(ما قيمة الرجل ينفق عمره فى التنقل بين احلامه الشعرية فى حين أن اخوانه يجاهدون بكل ما اوتوا من قوة وايد فى سبيل الوطن والعمران ؟ اليس اليق بمثل هذا ان يكون ضحكة، ومهرجاً، وان يبعث به مع العدد الموسيقية الى الفرق العسكرية) ؟

وان الشعر القومى ابعد الشعر اثراً فى نفس قارئه لان الشعور به مشترك بين افراد الامة جميعا : وانا لهذا نقرأ القصيدة الاندلسية النونية فتبلغ منا على ضعف تأليفها ما لا تبلغه منا أى قصيدة ؟

فلماذا اذن لا ينحو بعض ادبائنا هذا المنحى، ويكون لنا ديوان فى الادب القومى : كما للفرنسيس ديوان، وللانجليز ديوان، وللاتراك ديوان. ولماذا لا ننبذ هـــذا الأدب الرخو المخدر الذى ينزع الرجولة من نفوس شبابنا ويجعل المثل الاعلى للحياة فى آرائهم : ان ينفقوا الحياة فى عبادة امرأة يعشقونها ، او يتخيلون انهـــم يعشقونها . ويقطع باساليبه الاعجمية العجيبة الصلة بيننا وبين ادبنا القديم ، ويضيع علينا هذا التراث القيم الذى تظاهرت على ايجاده ثلاثة عشر قرنا ؟ ولماذا لا يجهر الشيوخ والمصلحون فى الادب العربى ، بالدعوة الى (الادب القومى) وينقذونا من هذا الادب المخدر السام ؟ ولماذا لاتكون انت فى الرسالة . صاحب هذه الرسالة ؟

***

ثم ... الا ترى ياسيدى ان هذا الضعف والخور فى غزلنا يخرب ماله مبرر، وان المرأة والرجل انسان واحد. كلاهما فيه عنصر القوة وعنصر الانوثة ، والحب جامع العنصرين. فالرجل يحب ليكمل قوته بانوثة المرأة. اى انه يحب انوثتها وهى تحب قوته. فاذا اضاع هذه القوة ، ولم يحظ بانوثة المرأة ، لم يكن رجلا ولا امرأة ، ولكن مخلوقا شيطانيا بغيضا ، وكان كالغراب والقمرة ، او (كصاحبة الماء) لا هى ابقت ماءها . ولا هى اصابت طيرها !

وما بالرجل يحب من بأس ، ولكن على ان يظل رجلا يقوم على قدميه ، ويدل بعضلات من حديد وارادة من فولاذ : وأمل فى الحياة يملأ الحياة ، ثم يقول لمن يحب : انا قوى وانا احبك فتعالى الا ان يحبنا ضعيفا مسهداً.

والمرأة لو خيرت لما اختارت على الرجل القوى الحى باملهِ ولمستقبله الرجل الاصفر النحيل الباكى اليائس الميت من قبل الممات . هذا خليق به القبر وذاك الذى يستحق الحياة

فالام اذن يثابر شعراؤنا على هذا الغزل السخيف ، ويغنى مغنونا به ويكون لجيل المستقبل سما زعافاً ؟ ..

هذه هى القضية التى جئت استفتيك فيها . واستفتى ادباء الرسالة : وانى لاعتقد انها من الخطر بالمكان الاسمى . وبين لا ونعم فيها فرق ما بين الحياة والموت : لان الادب كالسيف القاطع ، شتان بين ان تضرب به لترى وميضه فى الجو و (الجمال الفنى) فى هذا الوميض ثم لا تبالى اذراعك اصاب فقطع ام هو قد اصاب الجدار ، وبين ان تجلل به خصما لك فاتكا او وحشاً كاسراً . على ان هذا ضرب وذاك ضرب وهذا ادب وذاك ادب . . .

فاذا تفضلتم يا سيدى بنشر هذه الرسالة فى الرسالة وتفضلتم بالجواب كان لكم الفضل والشكر .

دمشق — على الطنطاوى

ليسانسيه فى الحقوق ومن (المجمع الادبى)

(الرسالة) يسأل الأستاذ الفاضل أتنشر الرسالة ماتنشر من الأدب لأنه يسير فى طريقها المرسومة الى غايتها المعلومة ، أم تنشره لأنه امتاز بشرف القول وبلاغة العرض وحسن الأداء ، ثم يصوغ هذا السؤال نفسه صيغة فنية فيقول : نعمل وغايتنا (الأدب للادب) أم نعمل وغايتنا (الأدب للحياة) ؟ ثم حصر حياتنا اليوم فى النضال

المقدس عن القضيه العربية الكبرى · واعى باللائمة على شعرائنا الغزليين الذين غالت على مطامعهم المترفة فداسوا على اقدام الغيد، وتركوا جيش الجهاد يسير من غير موسيقى! ثم شرح الأستاذ اسئلته لطائفة من الآراء الحماسيه يدعو بعضها الى جدال طويل

أما خطة الرسالة وغايتها فلعل الأستاذ يذكر أننا رسمناها فى استهلال العدد الأول منها · وما نشرنا ولن ننشر الا مايساير هذه الخطة ويقابل هذه الغاية بوجه من الوجوه. نقول بوجه من الوجوه لأن القول بأن: (يتفق طائفة من شيوخ الأدب وقادته على مذهب واحد فيه، ثم يعلنوا هـــذا المذهب للناس ليتبعوه ويؤثروه) قول تأباه الطبيعة وتنكره أصول الفطرة مادام الأدب بمعناه الأخص هو التعبير الجميل عن العواطف والأخيلة والأفكار. وذلك التعبير يختلف بالضرورة فى كل كاتب باختلاف تربيته وبيئته وطبعه وذوقه. وفى ظننا ان تحديد الغاية من الأدب وتوحيد الطريق الى هذه الغاية لايدخلان فى حدود الامكان الا اذا استطعت ان توجه أهواء النفوس فى متجه لاتتنكبه، وتحصر خواطر الذهن فى مضطرب لاتعدوه

وأما (ان الأدب العربى الحديث قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص) فرأى يخامرنى فيه كثير من الشك، لان أدبنا لايزال يطلب من النقد ان يتعهده كالام، ويربت على ظهره كالأب، فاذا حذره مزالق الهوى والطيش، بشىء من الجد صاح وأعول ودبدبت رجلاه فى الارض، وراح يرسل السباب ويعلن الشكوى فى غير سداد ولا فطنة

هذه جملة قصيرة من الجواب نجملها اليك مساسا بخطة الرسالة. أما سائر الجواب فستقرأه مفصلا فى العدد المقبل ؟

الصهيونيـــة
نشأتها وتطورها

١ — قبل عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لفتت حوادث فلسطين الأخيرة أنظار العالم مرة أخرى الى ذلك النظام السياسى الاجتماعى الغريب الذى فرض على فلسطين تحقيقا لمشاريع السياسة الاستعمارية. فى فلسطين أمة عربية تعيش فى ذلك الوطن منذ آماد بعيدة ؛ ولكنها تجد اليوم نفسها أمام خطر داهم على كيانها القومى ؛ وترى اليهودية تمكن من غزو هذا الوطن بطريقة منظمة مستمرة ؛ تنفيذا لعهد قطعته بريطانيا العظمى على نفسها ابان الحرب الكبرى، بأن تعاون على انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين

وفكرة الوطن القومى اليهودى قديمة ترجع الى العصور الوسطى. ولكنها لم تكن فى تلك العصور التى كانت بالنسبة لليهودية عصرها الحديدى، أو عهد الاضطهاد الشنيع أكثر من مثل أعلى أو أمنية مقدسة غامضة. ولكنها منذ القرن الثامن عشر تغدو نظرية سياسية اجتماعية ترمى الى غايات عملية. وكان أقطاب اليهودية فى ذلك العصر وعلى رأسهم رجال ممتازون مثل مندلزون ولسنج(١) يرون أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى. ولكن هذه القومية المعتدلة التى املى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد؛ ولم يطل أمدها، واستمرت الفكرة القديمة على قوتها وتألقها. ومنذ اوائل القرن التاسع عشر نجد يهود انكلترا يعملون على تقويتها وتلمس السبل لتنفيذها بالدعوة الى احياء التراث اليهودى وانشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين. ومن ذلك الحين تتجه اليهودية ببصرها الى فلسطين؛ وتتكرر جهودها لاقناع السياسة البريطانية بامكان قيام وطن قومى يهودى فى فلسطين تحت الحماية البريطانية، وان قيامه يغدو ضمانا قويا لتأمين طريق الهند البرى

١ — موسى مندلزون ١٧٢٩ — ٨٦ فيلسوف وكاتب يهودى المانى كبير. ولسنج ١٧٢٩ — ٨١ كاتب مسرحى ونقادة يهودى المانى

وهنا تتخذ فكرة القومية اليهودية صبغة سياسية واضحة ؛ وتبدو الفكرة الصهيونية فى شكلها الحديث . والصهيونية هى القومية اليهودية . اشتقت من « سيون » العبرية او صهيون وهى الاكمة او المعقل . وقد أطلقت اولا على موقع التل الذى بنى عليه الهيكل ثم أطلقت على بيت المقدس : ثم على الامة اليهودية كلها ، وتراثها الروحى : واصبح معناها الحديث عود القومية اليهودية واستردادها لتراثها الغابر . وبهذا تفهم الصهيونية فى عصرنا ولهذا تعمل

واذا فالصهيونية الحديثة ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر . وفى هذا الحين نفسه تلقى الصهيونية مادتها وقوتها : ذلك ان خصومة السامية أو نزعة التعصب ضد اليهود قد اضطرمت يومئذ بفورة جديدة فى معظم الدول الاوربية ، واسفرت عن مذابح مروعة فى روسيا والمجر . وعصفت باليهود فى المانيا ثم عصفت بهم فى فرنسا حيث بلغت الحركة ذروتها فى قضية دريفوس الشهيرة (سنة ١٨٩٦) . ورأت اليهودية انها رغم حصولها على الحقوق المدنية والسياسية فى معظم الدول الغربية ، مازالت عرضة للبغض القديم الذى اصبح تقليدا راسخا فى المجتمعات الغربية . عندئذ بدت فكرة الوطن القومى اليهودى ضرورة يجب تحقيقها لخير اليهودية وسلامها . وأخذ اقطاب اليهودية يعملون على اذاعة الفكرة واتخاذ الخطوات العملية الاولى فى سبيل تحقيقها . فالفيت جمعية لانشاء المستعمرات اليهودية وزودت بالمال . وبدأت مساعى الماليين اليهود لدى الباب العالى لانشاء هذه المستعمرات فى فلسطين . ثم لقيت الفكرة روحها المضطرم فى كاتب يهودى نمسوى فتى هو تيودور هرتسل . وقد ولد هرتسل ببودابست سنة ١٨٦٠ ، وظهر فى الصحافة والتأليف المسرحى ، وظهر بالاخص بكتاباته القوية الملتهبة فى سبيل القضية اليهودية . وكان هرتسل يرى ان الوطن القومى ضرورة لليهودية لأمنية فقط ، وفى سنة ١٨٩٦ اخرج رسالته الشهيرة Die Judenstaat: « الدولة اليهودية » يعرض فيها فكرة الوطن القومى عرضا قويا ، ويرى ان يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى وتؤدى له الجزية وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ، فكان لدعوته وقع عظيم فى اليهودية باسرها ، وايده اقطاب المفكرين اليهود مثل مكس نورداو واسرائيل زنجويل (١) وغيرهما . وكانت اليهودية على أثر ماعانته من اضطهاد الخصومة السامية فى معظم البلاد تحفز يومئذ للذود عن نفسها ، وتستجمع جهودها لقيام حركة ايجابية منتجة . وسرعان ماانتظمت هذه الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته . وفى اغسطس سنة ١٨٩٧ عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برآسة هرتسل وفيه وضع برنامج الصهيونية الرسمى وعرفت غايتها ووسائلها على النحو الآتى :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى انشاء وطن فى فلسطين ، يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام ، ولكى يمكن تحقيق هذه الغاية ، يرى المؤتمر الوسائل الآتية :

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع التشجيع الواجب

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية او العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) ان تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى التمهيدية اللازمة للحصول على التصريحات الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية » .

ثم توالت المؤتمرات الصهيونية فى كل عام وبدأت مساعى اليهودية العملية واتصل هرتسل بالباب العالى ؛ فاظهر نحو الفكرة ميلا فى البداية باعتقاد أن تأييدها يكسبه نفوذا جديدا ؛ حاول أن يجعل من ذلك وسيلة لحل المسألة الارمنية بشروط عرضها على اليهود الانكليز . ولكنه اخفق فى هذه المحاولة . وزار هرتسل السلطان عبد الحميد فى سنتى ١٩٠١ و ١٩٠٢ فآنس منه اعراضا واخفق فى سعيه . فاتجه هرتسل الى انجلترا وعرض أن ينشأ الوطن القومى اليهودى فى أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطانى ؛ واقترحت خلال ذلك منطقة سيناء المصرية ثم منطقة فى الشرق افريقيا البريطانى . ولكن أغلبية المؤتمر الصهيونى (سنة ١٩٠٣) رفضت فكرة التحول عن فلسطين الى غيرها وعدتها تراجعا وهزيمة للفكرة القومية الاهلية ، ثم توفى هرتسل سنة ١٩٠٤ فى عنفوان قوته وجهوده فكانت وفاته ضربة قوية للحركة الصهيونية . ولم تجد الحركة من بعده مدى اعوام من يقودها بمثل قوته ونفوذه . وتزعمها مدى حين فولفزون المالى الالمانى ، واسرائيل زنجويل الكاتب الانكليزى ، وجددت المساعى لدى الباب العالى ، ولكن اضطراب الاحوال السياسية فى تركيا حال دون كل مسعى .

(١) ماكس نورداو طبيب وفيلسوف ونقادة يهودى كبير ولد ببودابست سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٢٦ اواسرائيل زنجويل كاتب وقصصى انجليزى يهودى (١٨٦٤ - ١٩٢٦)

وجددت المساعي لدى انكلترا . واقترحت اثناء ذلك برقة او الجزيرة في العراق لتكون مركزا للوطن القومي . ولكن هذه المساعي اخفقت ايضا فقت هذا الفشل المتكرر في عضد الصهيونية . وخبت حماستها ، فترت جهودها حتى نشوب الحرب الكبرى

وفي اثناء الحرب سعت اليهودية الى غايتها بجد ومثابرة ؛ وقدمت الى الحلفاء كل معونة ممكنة فمدتهم بالقروض المالية . والفت فرق يهودية عسكرية تحارب الى جانبهم . وتولى الزعماء اليهود : لورد روتشيلد والدكتور ويزمان ومسيو سوكولوف تنظيم هذه الحركة والسعي لدى دول الحلفاء وبخاصة انجلترا في تحقيق مشروع الوطن القومي ، واسدى الدكتور ويزمان ، وهو علامة كيماني ومخترع بارع الى انجلترا اثناء الحرب خدمات جليه : بتولى المباحث الكيمائية في المعامل الحربية الانجليزية : واختراع مادة جديدة للمفرقعات القوية . واسندت اليه منذ سنة ١٩١٧ رآسة الهيئة الصهيونية العالمية . وكانت انجلترا تعد يومئذ هجومها على فلسطين وامل اليهودية يبدو على وشك التحقيق . وكانت فرنسا أول من تقدم من الحلفاء لتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي بصفة رسمية : ففي ٤ يونيه سنة ١٩١٧ وجه مسيو كامبون وزير الخارجية الفرنسية الى مسيو سوكولوف رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية خطابا يؤكد فيه عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية والوطن القومي ، وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدرت الحكومة البريطانية عهدها الشهير بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وعرف هذا العهد باسم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية يومئذ : وتلي في مجلس العموم البريطاني في النصف الثاني من نوفمبر وادمج في خطاب رسمي وجه الى اللورد روتشيلد كبير اليهودية الانجليزية وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني لعظم السرور ان اوجه اليك باسم الحكومة البريطانية التصريح الآتي بالعطف على الاماني الصهيونية اليهودية وهو تصريح عرض على الحكومة البريطانية واقرته وهو :

« ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين : وسوف تبذل مافي وسعها لتحقيق هذه الغاية . ومن المفهوم انه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر »

للبحث بقية — عنان

المقـــبرة البحرية

للشاعر الفرنسي بول فاليري

تلوت المقال المنشور بعنوان « حول قصيدة » للدكتور طه حسين فأعجبت به اعجابي بكل ماتسطره براعة استاذنا المفكر . فثارت رغبة نفسي في الاطلاع على هذه القصيدة المحاطة بالاسرار والتي اختلف النقد والادباء في تفهمها . فرجعت الى كتبي التي اعتدت ان اتزود بها في سفري ؛ فلم أعثر على القصيدة جميعها ولكنني وقعت على قسم منها لعله يكون « خيرها » لانه أدنى الى الافهام ولعله « أسوأها » ان كانت روعة هذه القصيدة تتجلى في الغازها وطلاسمها ، ولكنني حتى في هذا القسم الواضح — لم أقع الا على ما تتنازع في تفهمه الخواطر . فقلت : امر هذه القصيدة غريب عند اصحابها : فكيف عند من يريدون ان يقرأوها مترجمة وكل مترجم قد انتحى ناحية تدلا تجمعه بالآخر الا رموز ! ولكن الروعة الغالبة في القصيدة لاترجع الى الوانها القاتمة وصورها الغامضة ، وانما تعود الى فنها . وطريقتها التي جاءت بها .

في القصيدة غموض شامل ! وهل كان الغموض سراً من اسرار البيان ؟ وهل في استطاعتنا ان نجعل من الغموض مرادفاً للبيان ؟ ولكن هل كان البيان كله مستوعباً للفن كله ؟ اليس من الفن الشيء الغامض والشيء المعجب والشيء المثير ؟ وهو بعد ذلك كله غامض جد الغموض لاينفتح على النفوس الا بقدر استقرائها او استجلائها للخطوط والالوان .. وهل كان اختلاف الناس في تفهم القصيدة الواحدة عيبا من عيوبها البيانية ام قيمة رائعة للقصيدة التي يتشعب من فنها فنون ومن سبيلها الواحد سبل متعددة .

أنا أحب الكتاب الذي يصرع قارئه طوراً وطوراً يصرعه قارئه كما يحبه استاذنا الجليل — واحب القصيدة التي لاتتركنا الا بعد ان تموج انفسنا بشتى اهوائها وميولها ، ولكنني لا أحب — ولن أحب — ان يرجى الغموض في الفن لمجرد الغموض . لأن الأمر لايؤول الا الى فوضى تعمل على تقويض الفن من حيث نحسب اننا عاملون على رفعه .

هنالك آثار فنية واضحة كل الوضوح ، ولكن المطالع عليها لايلبث ان يرتد عنها ضيق الصدر مظلم القلب ، وهنالك آثار غامضة كل الغموض لاينظر اليها الانسان حتى تملأ نفسه روعة وجلالا .

وتفتح أمامه من لانهايتها لانهاية الوجود . ماسر ذلك ؟ ألعل فى الفن شيئا غامضا غموض النفس ؟ اما تحديدى لمدا الغموض وهذا البيان فهو أمر لا أقدر على ابدائه رأيي فيه بعد ان أثبتت الحياة اننا كلما زدنا قيودها اتسعت آماد حريتها . وكلما قبضنا عليها من مكان أفلتت من أماكن . . . وما دام هذا شأن الحياة فليس غريبا ان يكون للفن ايضا مثل هذا الشان ، والفن اسمى مافى الحياة . وانما روعة الفن فى انطلاقه لا فى قيوده .

وأخيراً أخذت هذا الجزء اليسير من القصيدة وآثرت ترجمته برغم غموض معانيه ، مرتقبا من أحد شعرائنا الأفذاذ ان يؤدى نجوى استاذنا الدكتور حق تاديتها ، لانها — فى الحقيقة — كما فكر الدكتور — ستخلق نوعا جديداً فى الشعر يأتى على هذه الالوان البالية الباهتة . وتخلق فى الادب العربى هذه المدارس الجديدة الشعرية التى تحمل طياتها البيان الرمزى وغير الرمزى . وهذه القصيدة نظمها « بول فالرى » فى مقبرة مشرفة على البحر ، فكانت خطرة فلسفية تأملية ، يصف بها حالة الكون وذاتية العالم المادى الذى يرجع اليه تراب الموتى ، وراحة العالم الراقد فى (اللاشعور) وحالة القلق النفسى الذى يعكر علينا صفاء هذا العالم . مريدا من وراء ذلك أن تأخذ النفس نصيبها من هذه اللحظات المتتالية الحينية .

ولا أدرى أأحسنت العمل أم كنت مسيئا ؟ ولكنها جرأة أريد بها أن أستثير جرأة غيرى ممن هم أمت منى صلة بالقصيدة وصاحب القصيدة ؟

القصيدة

. . . انها قدسية ، مغلقةٌ نارها تُوقد من غير غذاء
خيم الصمت على أرجائها وعلى صفحتها رفَّ الضياء

سطعت أضواؤها وهاجة وأثارت فىَّ أسباب الطربْ
فظلال — كالدجى — ممدودة وقبور رصّعوها بالذهب

أرأيت الظل فى أكنافها حيث يرتج على الظل الرخامْ
وهناك البحر فى غفوته قد ترامى قرب أجدادى ونام

* * *

هاهنا أمواتنا قد جثموا مدفئاً أجسادهم هذا الترابُ
طاوياً أسرارهم فى جوفه ألنشر ينطوى هذا الكتاب؟

الوجود ائتلفت أعيانه وتآخت فيه ألوان الصور
واستقرت لكمال . وأنا قيد تبديل خفىٍ مستمر

* * *

وحياة قد طواها ماطوى وزعوها فى غيابات القبور
جسد يأكله هذا الثرى ودماء هى قوتٌ للزهور

أين ذاك الفن فى روعته عند ناس غالهم صرف الزمان؟
أين أرواح لهم سامية أين ما أوتوه من سحر البيان؟

هل علا — حيث علت اصواتهم ومشت روعتهم — الاسكون؟
نثرت كف البلى أبدانهم وسطا الدود على تلك العيون

* * *

هل لنفسى أمل فى حلم ضاحك . صادقة ألوانه ؟
لم يمثله لعينى خادع (١) طال فى تمثيله بهتانه

وغداً ان ذهبت هائمة (٢) أتراها تملأ الجو غناء ؟
قدكِ إفالأكوان يطويها البلى ووجودى مسرع نحو الفناء

* * *

أيها الخلد المعزى للورى أنت جهمٌ (٣) او جميل كالربيع
توّجوه لعيون عشيت عن هداها ، غرّها التاج الشنيع

حيلة لله ما أجملها وأكاذيب ارتدت ثوب التقى
كان فى الخلد عزائى فقضى وطوى اليأس رجائى فى البقا .

من درى الأمر ولا يعمقه ؟ يتجلى كله فى جمجمه !
كيفما قلبتَ أبصرتَ بها ضحكة دائمةً مرتسمه (٤)

* * *

(١) الاصل : لم يمثله لعينى العميتين ماء ولاذهب . .
(٢) كناية عن تلاشى الروح بعد الموت
(٣) لان الخلود المطلق الذى يمنح الشىء لا يمثل الا شيئا فارغا داعيا للسأم كاللحن الواحد . وهذا الخلود نفسه هو صورة من صورة الموت
(٤) هذه هى الضحكة التى تمثلها اسنان الجماجم بعد الموت . وقد مثلها المعرى بقوله :
رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد

مِنْ طرائفُ الشعرُ

آثار شوقيـــة

فرديات من المنظر الثانى فى الفصل الثالث

من رواية البخيلة

تظهر حسنى الخادم فى ثوب اسود على باب حجرة

من حجر منزل المرحومة الست نظيفة (البخيلة)

حسنى لنفسها تتذكر ما وهبته لها الست نظيفة قبل وفاتها

عينى أحقٌ أنى فى منزلى ؟   لا. كان لى فوهبته لجمال (١)
غاليت فى شعب الفؤاد بحبه   حتى وهبت له الثمنَ الغالى
أعطيته ما كان أصبح فى يدى   من مال جدّته فليس بمالى
لم يرض قلبى أن أعيش سعيدةً   ويعيش فى بؤس ورقة حال
أتُراه يقدُرُ خدمتى وحبتى   أولا يمرُّ له الصنيع ببال

* * *

رحمة الله على سيـــدتى   وسقَى الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبت   فكستنى الخزَّ فى الموت يداها
وحمتنى الماء حتى احتجبت   فسقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لى من بعدها منزلها   والدكاكين وآلت ضيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها   ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبتْ لى كلَّ ما قد ملكت   لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

(١) حفيد الست نظيفة وقد أحبته حسنى الخادم

ثم بعد لحظة :

لا . ذاك مالُ جمـــال   تركتـــه لجمـــــــال
وعدتُ ما كنت من قبـــ   ـلُ فـــوطتى هى مالى
أجل أنا الخـــادم والطاهيه   وما أنا السارقةُ الباغيه
ولا على النـــاس طفيلية   أجعل أموالهُمُ ماليـه

* * *

سمعت حديث البخل حتى صحبته   زماناً أراه كل حين واسمع
يروح ويغدو بين عينىّ صورة   ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

* * *

ســيدتى ونجلهـــا   فى الحظ سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها   بالبخـــل فيــه ما انتقل
يرحمهـــا الله فـــا   أنسى لهـــا تلك الجمل
فى غضب عنـــد الحوا   رواضطراب (وزعل)
وما اختلفنا مـــرة   فى حَمَل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كا   ن الخلف أو حول البصل
ولم نكن من الدقيـ   ـق نتهى ولا العسل

* * *

يرحمهـــا الله وان   لم تأت يوماً بحسن
عاشت بثوب واحد   كالميت عاش بكفن
أما أنا فالشـــاش أو   مادون ذاك فى الثمن
وبذلتى وفـــوطتى   طال عليهـــا الزمن
واجرتى عشرون قر   شاًمع كـــثرة المهن
البئر لا أبرحهـــا   خارجـــة وداخـــله
صاعدة كالدلو كـ   ـل ساعـــة ونازله
طباخة أصنع من   لا شىء شيئاً نأكلـــه
وأنحنى على البلا   ط كل حـــين أغسله
وكل دكان علىَّ   أجرهـــا أُحصّله

وبقايا بيقايا بُدِّلت   رب لحد فوق لحد يجثمُ
خجلت اقدامنا من وطئها   ما أديم الارض الا أنتمُ !

* * * * *

ليس للدود اتصـــال بكمُ
ياجسوماً أُدرجتْ فى الكفن (٢)
هو بالاحياء يحيا ابداً   هو يحيا فىّ ، لا يبرحنى !

دير الزور   خليل هنداوى

(٢) هذا دود التطور نجعله رمزا للتغير وهو فى الحقيقة يحيا بحياتنا ،وهو شعورنا أو ضميرنا المتغير دائما .

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد ، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

ساعـــة الرضى

للشاعر الوجدانى احمد رامى

انظرى !

هذى دموع البشر جالت فى عيونى

اسمعى !

هذا نشيد الروح فياض الحنين

ياالعينيـــك إذا أرسلتـا فى فؤادى بارقات الأمل !

ماالخديك أضاءا ومجا ؟ ألرضى ! أم بادرات الخجل ؟

صارحينى

لم يعد يخفى الهوى ماينا بعد أن ذقناه هجراً ووصال

نادمينى .

كم سهرت الليل فى نجوى المنى وسألت النوم عن طيف الخيال

بادلينى بالرضى رضى

أسعدينى فالقضا قضى

أنا فى دنيـــا المنى هيمان

أنا ولهـان أنا فرحان

جمعتـا ســاعة هفافة بجناحين وداد وسلام

هــذه روح الهوى رفـافة فاسمعى منهـا أناشيد الغرام

من الادب الانجليزى :

المؤقت هو الكل

لتوماس هاردى

هدتنى صروفُ الجَدِّ ـ إذ أنا يافعٌ ـ

وأحـداثُ دهرٍ دائماتُ التقلّبِ

إلى صاحبٍ فى الناس لم أبغِ وُدَّهُ

ولم أتخــيَّرهُ ولم أتطلَّبُ

وقرَّبْنَ أسبابَ التواصُلِ بيننا

أظلُّ أراهُ كُلَّ صُبحٍ ومغرب

وتـقنن عهد الودِّ بينى وبينه

برغم اختلافٍ فى مرامٍ ومشربِ

فقلتُ : « أساقيه المودّةَ آنهً

وأوليه آياتِ الولا والتحبّب

إلى يوم يأتى الصاحبُ المفردُ الذى

أرى فيه قصدى فى الصحاب ومذهبى

فإن صروف الدهر شتى كثيرة

ومازلتُ ذا عمرٍ مديدٍ مرحّب »

وألتقى إلى الدهرُ إذ أنا رائعٌ

أتيهُ وألهُو فى الشبابِ وأصطفى

بحسناءَ رودٍ يعجبُ الطرفَ حُسْنُها

وإن لم يكن يُزرى على كُلِّ مُعجبِ

فقلتُ : « بلاغٌ لى إلى حينَ ألتقى

عن أصطفيها فى الحسان وأجتبى »

وكنتُ أرجِّى منزلاً طيِّباً به

أعيشُ وحيــداً عيشة المترهِّبِ

فأولُ دارٍ صادفتنى سكنتُهـــا

وإن لم تكن فى الدورِ غاية مرغبِ

وقلتُ : « أدارى العيشَ فيها هنيهةً

إلى يومَ يهدينى الزمانُ لأطيبِ

« وإذ ذاك أدلى للورى برسالتى

وأكشفُ عن نور الهدى كُلَّ غيهبِ

وحسبى ـ إلى أن يسنحَ الزمن الذى

أميطُ به عن كُلِّ حقٍ مُحجَّبِ ـ

فضولٌ من الأشغال شتَّى طوارقٌ

أجيل بها حيناً بنانَ المجرِّبِ »

فهاتيك آرائى التى عشت طالبًا

فأينَ حياتى من طِلابى ومأربى ؟

(مقرط لا مقرطق)

نشرت الرسالة الغراء في عددها الصادر في أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ كلمة تحت عنوان « قصص الشعر في الادب العربي » بقلم الاستاذ علي شرف الدين جاء فيها (... فقد كانوا يضعون الأقراط في أذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) الخ

فالاستاذ يريد بهذا ان يقول : ان الغلام الذي يوضع القرط في اذنه يسمى مقرطقاً وهو خطأ منشؤه عدم التفرقة بين القرط والقرطق ، وبين المتحلي بالقرط ولابس القرطق. فالمتحلي بالقرط يسمى مقرطاً ولابس القرطق مقرطقاً ، والقرطق ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء . قال الفيروزابادي في القاموس : القرطق كجندب لبس معروف معرب كرته ، وقرطقته فتقرطق البسته اياه فلبسه . اه وفي المصباح القرطق مثال جعفر ملبوس يشبه القباء وهو من ملابس العجم اه

فانت ترى أنهم لم يختلفوا في معنى القرطق فهم متفقون على انه ملبوس يشبه القباء وأنما الخلاف في ضبطه فجعله صاحب القاموس كجندب وجعله الفيومي في المصباح كجعفر . (و قد حرفه المولدون) في إشعارهم كقول بن المعتز :

ومقرطق يسعى الى الندماء ... بعقيقة في درة بيضاء

واخطأ عمر الوداعي فظن مقرطق بمعنى ذي قرط في قوله :

قلت لهم لما بدا ... مقرطق يحكي القمر
هذا ابو لؤلؤة ... منه خذوا ثار عمر

وانما هو مقرط كما في شرح الفصيح (١) اه ولعل الخطأ تطرق الى الاستاذ من الوداعي صاحب هذين البيتين فظن المقرطق ذا القرط كما ظن هو نفسه وعلت عدم صحته ؟

برهان الدين الداغستاني

(١) من التعليقات على ادب الكتاب

فلا أنا أدناني اجتهادي لبُغيتي
ولا الدهرُ مما عشتُ أبغي مقرّبي
وما فُزتُ من خِدنٍ بخير من الذي
لديّ ومن خُودٍ ودارٍ ومَطلبِ
ولم أرها إلا طُيوفاً تباعدت
مدى العمر ما تدنو إلى مترقّبِ !

فخري أبو السعود

رواية الابناء والمحبين

للكاتب الانجليزي د . ه . لورنس

نقد وتحليل

أراد د . ه . لورنس في روايته أن يصور لنا فتى خيالي النزعة دقيق المشـاعر في دور الانتقال الاول من حياة الصبي الى حياة الرجل

وليس الفتى « بول » في هذه الرواية الا الفتى د . ه . لورنس نفسه . فابوه عامل خشن من عمال المناجم يعول أسرته بعمل ذراعيه ولا يعرف من لذات الحياة غير المأكل والمشرب ولاسيما الاخير منهما . وأما مسز موريل أمه فامرأة مهذبة من أسرة من الطبقات المتوسطة ، كان ابوها مهندسا وكان رجلا كبير الجثة جميلا بادي العظمة فخوراً بلون بشرته الابيض وزرقة عينيه وفخورا أكثر باستقامته ، وقد شابهت جرترود (أي مسز موريل) أباها في ضآلة البنية ولكنها ورثت خلقيا بما فيه من تكبر وشدة حساسية من أسرة أبيها .

ومع ذلك تزوجت هذه المرأة المهذبة من ذلك العامل الخشن ، فقد قابلت وهي في الثالثة والعشرين من عمرها فتى من وادي أرواش في حفلة من حفلات عيد الميلاد . وكان موريل عند ئذ في السابعة والعشرين من عمره ، وكان جميل الجسم معتدل القامة ظاهر النشاط ذا شعر اسود متموج لامع ولحية سوداء قوية لم تحلق قط ، وتلوح على خديه علائم الصحة ، ويلفت النظر فمه الاحمر الرطب لانه كان يضحك كثيرا ويضحك من أعماق قلبه ، وقد وهب تلك الموهبة النادرة أعني الضحكة القوية الرنانة : ولاحظته جرترود فسحرت به وكان مليئا بالألوان والحياة ويتنقل صوته بسهولة الى المضحك الغريب ، وكان سريع الخاطر ظريفا مع الجميع ، وكان أبوها يميل الى الفكاهة النازعة الى السخرية ، ولكن هذا الرجل يختلف عنه : ففكاهته ناعمة بعيدة عن التعمق الذهني وحارة فيها نوع من اللعب

أما هي فكانت على الضد من ذلك ذات عقل دائم التساؤل قابل للمعلومات يجد لذة كبيرة في الاصغاء الى الآخرين وكانت ذكية في جر الناس الى الكلام ، تحب الآراء وتعتبر مثقفة

تثقيفا كبيرا ، وتحب بنوع خاص المناقشة في الدين والفلسفة والسياسة مع رجل مهذب، ولكنها لم تكن تمتع بهذه الفرصة كثيراً، لذلك تحمل الناس على أن يتكلموا معها عن انفسهم وتجد في ذلك لذة كبرى . وكانت في شخصها ضئيلة ورقيقة ذات جبهة عريضة تتساقط عليها عناقيد من الحرير الاسمر المجعد ، وعيناها الزرقاوان مستقيمتان أمينتان باحثتان ، يداها جميلتان كسائر أهلها ، وملابسها دائماً ذات لون قاتم فتلبس رداء من الحرير الازرق الغامق، وتضع سلسلة فضية ذات شكل خاص ودبوس كبير من الذهب المجدول، هذا كل ما تتزين به ، وكانت بعيدة عن الاهواء شديدة التمسك بالدين ، مليئة بالصراحة الجميلة .

فتن والتر موريل عند ما التقى ناظراه بناظريها ، فكانت عنده هذا موضوع غرابة وسحر إذ كانت سيدة فهي اذا كلمته نطقت في لفظ جنوبي وفي انجليزية صافية يرتعش لسماعها .

***

ليس موضوع الرواية حب ولتر موريل عامل المناجم ، وتزوجه من جرترود كوبارد ، وانما موضوعها أجل من ذلك ، ولكننا أردنا أن نسوق شيئاً من وصف الرواية لهما كي نتعرف اليهما قبل أن نتعرف الى ابنهما الصبي بول موريل

وليس بول بكر أولادهما ، فوليم موريل كان أكبر الأولاد واليه تحول حب الام حين حل الجفاء بينها وبين زوجها محل الحب الاول ، اذ لم تلبث السيدة موريل وهي المهذبة المثقفة أن اكتشفت حقيقة زوجها ورأت وراء ذلك الجسد الذي سحرها بفتوته روحاً خشنة غير مهذبة ، وأخذ زوجها كزملائه يقبل على الكاس فلا يذهب الى البيت الا ثملا ، واذا كان ثملا ، كان جافاً تبدو خشونة طباعه .

الى الابناء ولاسيما الابن الاكبر وليم تحول حب الام وصممت بعزيمتها الفولاذية على أن يكون أبناؤها مثقفين بارزين في مضمار الحياة ، وكان وليم فتى طموحا يميل الى التعلم وقد تمكن من أن يجد عمل كاتب في أحد المحال القريبة من قريتهم ثم انتقل الى عمل في لندن وصارت زيارته للاسرة عيداً من الاعياد .

وأحب وليم فتاة من الكاتبات في لندن وعزم على الزواج منها فقدمها الى عائلته وكانت فتاة كثيرة الاهواء محبة للظاهر ورأت الام بعين الحنو انها لا تصلح لابنها ولكنها بعين الحنو أيضاً سكتت على مضض .

على أن الفتى كان يكتشف حبيبته شيئا فشيئا ، ويرفع الستر عن عينيه كما يدل على ذلك حديثه في زيارته الاخيرة لأسرته . وكان ذلك في مساء يوم السبت

« وقد خاطب امه مرة واحدة في ذلك المساء وكان يتكلم عن حبيبته في لهجة الحزن والألم :

« ولكنك تعلمين يا أماه انني لو مت لتألمت شهرين ثم تأخذ في النسيان . وسترينها لن تأتي الى هذا المكان لتنظر الى قبري — لن تأتي مرة واحدة »

فقالت امه : ولكنك لا تموت يا وليم ، فلماذا تتكلم عن الموت ؟

على ان القدر رسم له أن يموت ، فقد عاد الى لندن في منتصف ليل الاحد وفي يوم الثلاثاء تسلمت مسز موريل برقية بان ابنها مريض . فاسرعت الى القطار ولا ريب في ان الام كانت تشعر ذلك الشعور الخفي بالكارثة ، ولا ريب في انها كانت تقاوم ذلك الشعور وتغالبه فلا تستطيع ، ووصلت الى لندن لتراه يموت بين احضانها دون ان يتعرف الى امه

* * *

ان الصفحات التي وصف فيها د . هـ . لورنس دخول الموت الى هذه الأسرة لهي من اروع ما كتبه

تحطمت آمال الأم في وليم فتحولت الى ابنها بول ونشأ بول كما نشأ جميع افراد العائلة على حب الام وعلى ان يعتبر اباه خارجا عن الأسرة ، ونجد صورة من ذلك في مرض حدث له وهو لا يزال صبيا :

« اصيب الغلام بنزلة صدرية ولكن لم يهتم لها كثيرا ، فان ماحدث قد حدث ، وليس ثمة فائدة من مقاومة الاشواك ، وكان يحب المساء بعد الساعة الثامنة عندما تطفأ الانوار ويستطيع ان يرقب لهيب نيران الموقد يبدد ظلام الحائط والسقف ، ويرى ظلالا عظيمة تتمرج وتضطرب ، وكأن الغرفة امتلأت برجال يتقاتلون في سكون

كان الاب يدخل غرفة المريض قبل أن يأوي الى فراشه ومن عادته ان يكون في نهاية الرقة اذا مرض احد في البيت ، ولكنه كان يعكر جو الغرفة لدى الغلام

سأل موريل في رفق : « هل أنت نائم يا ابني ؟ »

فأجاب الغلام : « لا! هل امي آتية ؟ »

انها انتهت الآن من طي الملابس ، أتريد شيئا ؟ وكان موريل يخاطب اولاده بلهجة الاحترام

— لا أريد شيئا ولكن هل تغيب طويلا ؟ »

ــ لاتغيب طويلا يابى

ووقف الاب برهة فى تردد فوق الطنفسة المبسوطة امام الموقد وقد شعر ان ابنه لايريده، ثم ذهب الى اعلى السلم وقال لزوجته.

ــ ان الطفل يريدك! هل يستغرق عملك وقتا طويلا؟

ــ لن اتركه حتى انتهى منه، قل له ينام

فقال الوالد لابنه فى لطف: «انها تقول لك نم»

فألح الغلام: «انى اريد ان تأتى»

فنادى موريل من السلم، لن ينام حتى يراك

ــ كفى! فلن آتى حتى انتهى من عملى، ثم كفاك صياح من اعلى السلم، فان الاطفال الاخرين ....

فقال الاب: «لن تغيب طويلا»

وظل الاب يجول فى الغرفة، وبدأ على الغلام، القلق وكأن وجود ابيه زاد من نفاد صبره، واخيرا وقف موريل امام ابنه لحظة ثم قال فى صوت رقيق: «ليلة سعيدة يا بها العزيز»

فأجاب بول: «ليلة سعيدة» ودار بجسمه الى جانبه الآخر وقد شعر بالارتياح لانه صار وحيدا.

وكان بول يحب ان تنام امه معه، وما زال النوم فى اكمل حالاته على الرغم من اقوال الاطباء عندما يشترك فيه المحبوب فان حرارة الروح وطمأنينتها وأمنها والراحة الكبرى فى تلامس الجسدين تربط النائم بالنوم بحيث يكون الجسد والروح فى عنايته وقد رقد بول الى جانبها ونام وتحسنت حالته، اما هى والنوم لايزورها سريعاً فقد نامت بعد ذلك نوماً عميقاً اعاد الى نفسها قوة الايمان.

*

ولكن الامهات لايلبثن ان يجدن منافسات لهن فى ابنائهن، ورواية الابناء والمحبين إن هى الاقصة ذلك النضال الخفى الذى يقوم بين الام وبين تلك التى تريد ان تحول قلب ابنها اليها.

فى مزرعة ويلى وجد بول حبه الاول: فتاة هى اخت لاصدقائه اولاد اصحاب المزرعة

كانت مريم ذات نزعة خيالية وكانت كبيرة التعلق بامها، وكان كل منهما ذات عينين عسليتى اللون، وذات نزعة صوفية، فكانت من اولئك النساء اللاتى يكتنزن الدين ويتنفسنه من انوفهن، وكانت مريم تظن الله والمسيح شخصا واحدا تحبه حبا شديدا وتخشاه .....

وكانت هذه المخلوقة لاتهتم بجمالها الخجل المتوحش المتوقد حساسية، بل لاتكفيها تلك الروح ذات النزعة الشعرية فكانت، تبحث عن شيء آخر يقوى ماطبعت عليه من كبرياء، لانها شعرت بانها تخالف غيرها من الناس، ولكنها نظرت لبول نظرة اخرى فهى بوجه عام تكره الرجال على انها رأته من نوع آخر سريعا خفيفا رفيقا قد يكون احيانا آية فى اللطف ويتغلب عليه الحزن احيانا. وهو ذكى يعرف الشيء الكثير وقد طاف الموت مرة بعائلته ورفعه فى عينيها الى السماء ماحصل عليه من المعلومات الضئيلة ..

احبته الفتاة واحد الفتى ينفتح قلبه للحب، ولكنه كان حبا غريب خفيا ممزوجا بكل مافيها من مشاعر الدين والتقوى، واما حب الفتى فكان فطريا ممزوجا بتلك العاطفة التى يمتزج بها الحب كثيراً فى نفس فتى تحول قريبا من دور الصبى الى دور الرجل. وقد رأت فيه الفتاة مثلا أعلى للرجل المتصف باكمل الصفات، أما الشاب ذو النفس المرتعشة بحرارة الشهوة فكان ينظر الى الحب من ناحية أخرى

ثم يلبث الفتى ان مل هذا الحب، واراد حبا أكثر انسانية واقل تطلعا الى الملائكة، ووجده عند كلارا التى كان يعمل معها فى محل واحد

تعلق الفتى بها وتعلقت به، وتجاذب النفسان تلك العاطفة تجاذبا. نقرأ بدقائقه فى هذه الرواية، ولكن شيئا كان يحول بين توافق هذين القلبين كما كان يحول بين توافق قلب بول ومريم

الواقع ان هنالك حبا آخر عنيفا محطما كان يعمل دائما على التفريق، وهذا الحب المحطم هو حب الام لولدها: فبول كان شديد التعلق بامه وامه شديدة التعلق به والحنو عليه، فلما ان طمحت نفسه الى حب آخر لم يجد الى التخلص سبيلا، انه لم يشعر بذلك لان هذا الحب كان يجتذبه بخيوط خفية دقيقة لايراها ولايستطيع الاان يظل فريسة، فعندما تحول حب بول عن مريم كانت الام تجتذبه، وعندما تحول حبه عن كلارا كانت الام تجتذبه

ولم تكن الام تعمل على ابعاده ولا هى تسعى لذلك سعيا ظاهرا: بل هى تود سعادته وخيره وتود ان يصل الى كل مايرضيه، وانما نفوذها القوى عليه وحمايتها الشديدة له وعنايتها به منذ صغره الى ان مرضت مرضها الاخير والى ان لفظت آخر انفاسها امامه ـ هذا النفوذ هو الذى حطمه فى صباه وقد يحطمه فى رجولته

فموضوع الرواية الحقيقى قد لايكون حياة بول وانتقاله الى الرجولة وتفتح عينيه الى سر الحياة، وانما هو: نفوذ الام وعطفها الذى قد يكون اشد خطرا على حياة الشاب من جميع الاخطار

وتعتبر هذه الرواية من اوائل روايات (د.ه. لورنس) ويضعها البعض فى مقدمة رواياته لكن اسلوبه المصقول الحذر ينم على يد لم تكن من المران بحيث تطلق عنانها وان كنا نرى فى التحليل النفسانى نبوغا لايقل عن نبوغه فى خير رواياته؟

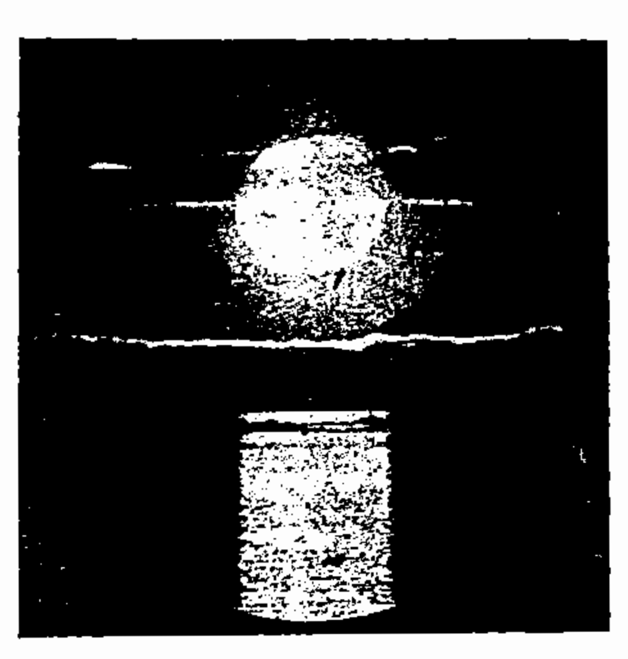
حسن محمود



نور الشمس فى منتصف الليل

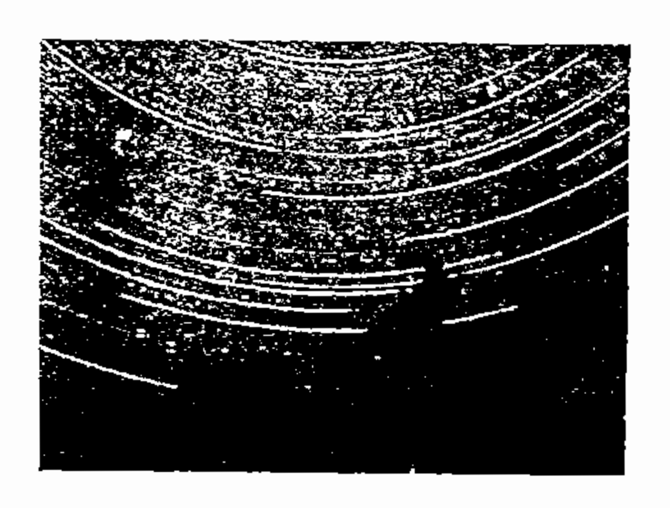
للدكتور على مصطفى مشرفة

فى الأقطار القطبية الشمالية لا تغرب الشمس وقت الانقلاب الصيفى (أى حوالى ٢١ يونية) بل تبقى فوق الافق طول الاربع والعشرين ساعة . ويذهب حينئذ كثير من عشاق الطبيعة إلى الجزء الشمالى من شبه جزيرة اسكاندناوه أوإلى اسبتزبرجن لرؤية « الشمس فى منتصف الليل » كما يسمونها (انظر شكل ١) . ولكى نفهم امكان



شكل ١ — منظر الشمس فوق الافق الشمالى عند منتصف الليل فى الاقطار القطبية

حدوث هذه الظاهرة يكفى أن نتذكر أن القطب الشمالى للكرة السماوية (موضع النجم القطبى تقريباً) يرتفع عن الافق كلما تحركنا شمالا على سطح الارض . حتى اذا دخلنا الدائرة القطبية صار ارتفاعه عن الافق أكثر من ٦٦٫٣٣ اى اكثر من بعد الشمس عن القطب الشمالى عند الانقلاب الصيفى . وبذلك يصير شأن الشمس حينئذ شأن النجوم المحيطة بالقطب والتى تدور فى حركتها اليومية فى دوائر محيطة بالقطب دون ان تشرق او تغرب (انظر شكل ٢)



شكل ٢ — تتحرك النجوم المحيطة بالقطب فى دوائر حول القطب بحيث لا تشرق ولا تغرب . وقد اخذت الصورة بتوجيه الآلة الفوتوغرافية نحو الافق الشمالى وترك اللوح معرضا نحو ساعتين .

ومع ان امر هذه الظاهرة معلوم لدى الخاص والعام الا ان القليل منا من يعرف انه من الممكن رؤية نور الشمس (لا الشمس ذاتها) فى منتصف الليل دون ان نتطرف شمالا الى ابعد من خط عرض باريس او جنوب انجلترا . فالشمس بعد ان يختفى قرصها المنير تحت الافق تبقى اشعتها مضيئة للطبقات العليا من الهواء الجوى وينشأ عن ذلك نور منتشر هو الذى يعرف بالشفق . ويظهر الشفق كقطعة من دائرة تنخفض مع الشمس فى انخفاضها تحت الافق نحو ١٨ درجة اى بمقدار القطر الظاهرى لقرص الشمس نحو ٣٦ مرة . ويجب ان نميز بين هذا النوع من الشفق وبين نوع آخر ناشىء عن وقوع ظل الأرض على الهواء الجوى ، يظهر فى الناحية الشرقية للسماء

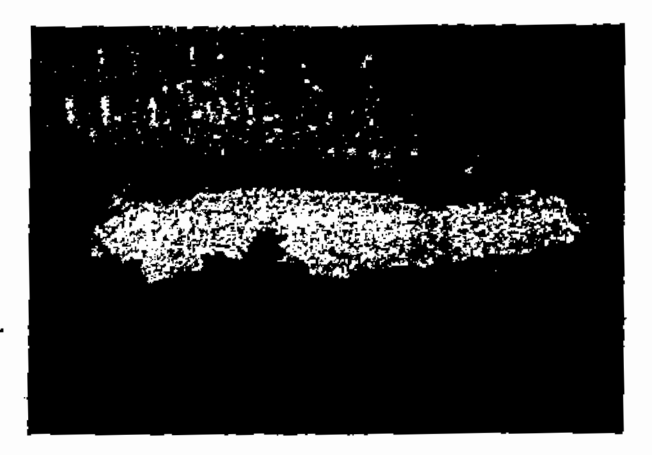
(١) ارتفاع القطب الشمالى للكرة السماوية من الافق يساوى دائما خط عرض المكان والألمان يسمون خط العرض Polhöhe ومعناها ارتفاع القطب .

كقطعة من دائرة منيرة ذات لون ازرق قاتم يحيط بها قوس ضارب الى الحمرة ثم يرتفع تدريجياً ويتلاشى سريعاً حتى ينعدم قبل ان يصل الى سمت الرأس. كما يجب ايضاً أن يميز بين شفق الغروب وشفق الشروق الذى يظهر عند الفجر وفيه تبدو جميع مظاهر الشفق بترتيب عكسى لما ذكرناه آنفاً

وفى مصر كما فى سائر البلدان القريبة من خط الاستواء تهبط الشمس عند الغروب هبوطا سريعاً ولذا فان الشفق لايبقى طويلا ، ففى مصر يصل انخفاض الشمس عن الأفق وقت الانقلاب الصيفى الى ١٨° بعد الغروب بنحو الساعة والنصف وعندها يحل الليل ويزول الشفق تماماً .

أما فى البلاد البعيدة عن خط الاستواء فان الشمس تنحدر فى غروبها صيفا انحدارا بطيئا فيمتد أمد الشفق ، وإذا راعينا أن غروب الشمس ذاته يجىء متأخرا صيفاً فى البلاد الشمالية أدركنا نتيجة هذين الظرفين مجتمعين فى إطالة النهار. واذكر أنى اثناء اقامتى فى انجلترا كنت استطيع أن اطالع جيداً وقت الصيف فى حديقة المنزل على ضوء النهار إلى ما بعد الساعة العاشرة مساء .

ومن الممكن إذا عُلم خط عرض المكان حساب مدة بقاء الشفق . فعند خط عرض باريس مثلا يمكن بحسبة بسيطة معرفة أن انخفاض الشمس وقت الانقلاب الصيفى يصل إلى



شكل ٣ ــ الشفق فوق الافق الشمالى الغربى اخذت الساعه ١١ مساء قرب باريس

١٨° عند منتصف الليل ، ولذا فان شفق الغروب يبقى إلى منتصف الليل ، وعندها يبدأ شفق الشروق وبعبارة أخرى لايكون هناك ليل حقيقى فى ذلك اليوم . وفى شمال انجلترا تبدأ هذه الظاهرة بشكل أوضح إذ يمتزج الشفقان ويبقى نور الشمس (المنعكس عند طبقات الهواء العليا) واضحاً طول الليل . وإذا قلنا إن نور الشمس يمكن رؤيته عند منتصف الليل عند خطوط العرض التى تقع شمال باريس، فيجب أن نذكر أن هذا النور يكون ضئيلا ، ومن السهل أن تكسفه أنوار المدينة أو نور القمر ، ولذا يحسن إذا أريدت رؤيته أن يخرج المرء الى الريف البعيد عن الاضواء الصناعية بشرط ان يكون الشهر القمرى فى أوائله أو أواخره . ومما يساعد على حسن رؤيته وجود اجسام معتمة كالاشجار مثلا على الافق . ويرى فى الشكل ٣ صورة فوتوغرافية اخذت الساعة ١١ مساء بواسطة فانوس اسقاط (فانوس سحرى) ذى عدسة مكثفة عرّض اللوح فيها ١٩٠ ثانية وفى الآخرين ٢٩٠ ثانية ويظهر فيها بوضوح نور الشفق من الناحية الشمالية فى السماء .

علی مصطفى مشرفه

نوبل

للدكتور أحمد زكى

فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر الماضى احتفل القوم بمرور مائة عام على ميلاد « الفريد برناد نوبيل » . وما كان العالم فى حاجة الى التذكير بميلاد نوبيل أو بموته فذكراه تتجدد كل عام ، تجددها تلك الجوائز السنوية الخمس التى تحمل اسمه والتى أنشأها عند وفاته عام ١٨٩٦ ووقف عليها ريع ثروته الهائلة ، وقد يبلغ الخمسين ألفا من الجنيهات



فى السنة الواحدة . قال نوبيل فى وصيته « .... ويقسم هذا الريع هكذا : نصيب للفرد الذى يأتى بأخطر استكشاف فى الفيزياء (١) ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأخطر ابتداع فى

(١) هى لفظة العراق لكلمة Physics أما الطبيعة فتقابلها Nature والحق أن Pyhsics ليست دراسة الطبيعة وانما دراسة قواها . وبهذا تتفادى اللبس عند ترجمة Physical و Natural وما اليها من المشتقات

الكيمياء أو بتجديد خطير لابتداع قديم . ونصيب للفرد الذى يأتى بأكبر جديد فى الطب أو فى الفسلجة (٢) . ونصيب للفرد الذى ينتج فى عالم الادب أجل نتاج على ان ينحو فيه صاحبه منحى الاديالبين Idealists ، والنصيب الخامس والأخير للشخص الذى زاد أكثر من غيره فى أخاء الامم . وجاهد أكثر من سواه فى الغاء الجيوش أو فى انقاصها وفى جمع المؤتمرات وزيادتها تحقيقا للسلام ... وا ، اعلن رغبتى الصريحة فى الا تكون لجنسية المترشحين اى اعتبار مها قل عند القرار بمنح هذه الجوائز .

هذا نوبل كما يتراءى فى وصاته : رجل حباه الله الثروة الواسعة . ومنحه العقل الذى يدرك به خطر العلوم الطبيعية فى تقدم الانسان واسعاده . ووهبه قلب الشاعر الذى يزهد فى صور الكون الواقعة ، وحقائقه الراهنة ، لقبحها ولنقصها ، ويستلذ صورا من خلق الخيال لاحقيقة لها ، لأنها تمثل الكون على مايجب ان يكون ، والانسان على اتم حال من جمال ونبل ، والاشياء على أكمل اتساق وانتظام ، فالنتاج الادبى الذى يجيز عليه يجب ان يكون اديالياً كاليا لاحقيقيا واقعيا ، واتسع هذا القلب حتى وسع الأمم جمعاء فخشى عليها مهالك القتال وأشفق عليها من متالف الحروب

أما نوبل قبل الوصاة ، نوبل القرن التاسع عشر فرجل عالم مهندس كيميائى ، صرف مواهبه فى استكشاف بوائق الحروب والتفنن فى اساليب الموت وتشجيع القتال بأبحاثه حتى كفل للحكومات الحجة التى لاتدفع فى فض الخصومات

ولد نوبل فى استكهلم عاصمة السويد عام ١٨٣٣ وذهب أبوه به صغيرا الى عاصمة روسيا حيث أنشأ معملا لصناعة الطوربيد ، ثم عاد به الى السويد وخلف أخاه الاكبر قواما على ذلك المعمل فوسّعه ومدّده . وفى السويد بدأ نوبل بدراسة الناسفات . وكان الوقت ملائما لهذه الدراسة ، فان النزاع بين الدول كان يشتد واسباب الخصام تكاثر ، وزادت الريبة وأشكال المستقبل ورأت كل أمة خلاصها من الحرب فى العدة للحرب . ومن الغريب ان العالم لم يكن يعرف ويألف من الناسفات الى ذلك العصر غير البارود ، وكانت الكيمياء الحديثة قد بدأت تشب ، والتفاعلات الكيماوية تُدرس فتُعرف . فكان من الطبيعى ان تتجه الأمم فى تنافسها الى الكيمياء علها تجد عندها سلاحا جديدا أمضى من الحديد ، أو مرادفا أقوى وافتك من البارود . فدرس الدارسون واجتهد المستنبطون . تارة يستحثهم المجد ، وتارة يغريهم المال ، وتارة أخرى تُلهبهم القومية وما يتضمنها من ضرورة فى دفاع ، أو إشباع لأطماع . فكشفوا فى النصف الاخير من القرن الماضى عن طائفة من الناسفات طالعنا آثارها فى الحروب التى تتابعت من ذلك العهد ، رأينا فعلها وسمعنا دويّها فى الحرب الكبرى الاخيرة التى ذهبت ببضعة ملايين من بنى الانسان

بدأ نوبل دراسته فوقع على مادة اسمها «النترو ـ جلسرين» Nitroglycerine وذلك عام ١٨٦٤ . وهذه المادة كان قد وقع عليها من قبله كيماوى آخر يدعى سبريرو عام ١٨٤٦ وحضرها بأسترة الجلسرين وحامض الأزوتيك إلا أنه لم يحقق ماهيتها ولم يدرك خطرها فى النسف وشدتها عند الالهاب والطرق . فاتجه نوبل الى دراستها رجاء احلالها محل البارود ، والى تحضيرها جملة ، والى تعرّف اسباب الحيطة لتجنب أخطارها أثناء التجهيز . ونجح فى كل هذا بعد ان أصابه من مخاطرها مالابد منه ، فحضّرها مادة مائعة ثقيلة تشبه الزيت ، فبدأ يشيع استخدامها فى المرافق الحربية والمدنية . وهى اذا تفرقعت استحالت فجأة الى احجام كبيرة من غازات أهمها غاز الكربونيك والأزوت والاكسجين وبخار الماء تزيدها حرارة التحلل تمددا . حسب نوبل مقدار ماينبعث من غاز فوجد ان الحجم الواحد من الزيت يخرج ١٢٠٠ حجم من الغاز ، هذا باحتسابه فى حرارة الجو العادية وتحت الضغط العادى ، أما وهو فى حرارة التفاعل

(٢) من علم وظائف الاعضاء

فيبلغ ثمانية أضعاف ذلك . وعلى ذلك فهذا الزيت أقوى من البارود ثلاث عشرة مرة . الا انه لم يكن كالبارود لينطلق بسهولة ،ومع هذا كان احساسه عند الاصطدام كبير. ففكر نوبل ثم فكر، فخال ان يدس فيه شيئا قليلا من البارود يصله بفتيل قابل للالتهاب يطيله كيف شاء، ثم يشعله فتسرى فيه النار، حتى اذا وصلت الى البارود في خزانته الصغيرة انطلق فانطلق بانطلاقه « النتروجلسرين » . وهذه أول مرة عُرفت أُطلق فيها ناسف بناسف ، وهو احتيال لعب دوره الكبير في الناسفات ،ولايزال يلعبه كبيرا الى وقتنا هذا ، وبه أفلت « النتروجلسرين » من خيبة محققة . الا انه ما كاد يذيع حتى ذاعت بذيوعه فواجع ونكبات لوصول أيد غير خبيرة اليه . وزاد في خطره قوامه المائع ومظهره الرطب الهادىء ؛ فطمأن اليه بلهاء نالوا منه حتوفهم - كان ينقل على عربات تجر ، فذات مرة صات العجل وصرّ فما كان من صاحبنا الحوذى الطيب القلب الا أن شحمها بالزيت الذي يحمل . وكان الحطابون يزيتون به أحذيتهم ، ويدهنون به أعنة خيولهم، وبعد ذلك يحكونها ويلعنونها. وتكررت الحوادث وتتابعت انفجارات ذهبت احداها بأخي نوبل ، فسنت الحكومات القوانين بتحريم صناعته ، وثار حنق الجماهير على نوبل اذ تمثلوه رجلا لاقلب له يسعى لصالح نفسه ،ويطلب المال مما فيه دمار الناس.عندئذ ضاعف نوبل جهده وحشد قواه ليؤمّن الناس من شر تلك النكبات . فبحث عن جسم صلب مسامى يمتص النتروجلسرين . وبعد تجارب عدة في هذا السبيل وجد أن « الكيزلجور » Kieselguhr يمتص أكثر من سواه. و« الكيزلجور » طفَل ذو مسام كثيرة ، أصله نباتات من الطحالب العائمة التي تعيش في البحار والانهار على السواء ذات خلية واحدة متسلس جدارها ، ماتت فرسبت هيا كلها فتكونت منها طبقات كثيرة تُستعدن الآن . وهي تستخدم في الجلاء وفي أغراض أخرى . فخلط نوبل سحيق هذا الطفل بثلاثة أمثاله من النتروجلسرين فتشربه وتكون منها خليط ناسف أسماه « الديناميت » ، كان أضعف من النتروجلسرين قوة، ولكنه كان أكثر اتزانا منه وأقل حسا بالصدمات وآمن في النقل ، فاطمأن الناس اليه وذاع أمره في البلاد شرقا وغربا

الا أن هذه الرخاوة في مزاج الديناميت والهدوء في طبعه لم تعجبا نوبل ، وساءه أن يحصل الأمن بأضاعة شدة الناسف ، ويشترى الطمأنينة ببيع شيء من قوة الانفجار . فقام لساعته ينقب عن مفجر جديد يجمع الى شدة النتروجلسرين أمن الديناميت . . يشفع قوة الاول بطمأنينة الثاني ، فخرج بعد الكد والصبر وتعرض للاخطار الى مخلوق جديد أسماه « الجيلاتين الناسف » ، وهو مزيج من مادتين كلتاهما ناسفة . أولاهما « النتروجلسرين » وأخراهما « النتروسليولوز » ، وهو القطن بعد معالجته بحامض الأزوتيك ، ويتألف من خلطهما جسم كالفالوذج مظهرا ، وهو الموت والدمار مخبرا

وعالج نوبل هذا الفالوذج الجديد « بالسليولويد » أو « الطبخ » ، فوقع على مفجر جديد أسماه « باليستيت » ، من خواصه انه اذا انفجر لا يملأ الجو بالدخان ، وهو من نوع الناسفات الشائعة في الجيوش اليوم . وكان قد اتصل بالحكومة الانجليزية يعمل معها ، فسجلت هذه الحكومة ناسفا جديداً أسمته « كورديت » ، كان يشبه « الباليستيت » شبها قريبا ، فخاصمها نوبل عليه وادعاه لنفسه واتفقا معا على رفع الامر للقضاء والرضاء بما يقسم دون أن يعكر ذلك ما بينهما من صفاء ،وكانت قضية فيها تعقد وفيها ابهام . وكان فيها للقضاة لا شك حيرة كبيرة، وأخيرا فازت الحكومة ، فغرم نوبل ثلاثين الفا من الجنيهات ، فغاظه ذلك وترك في نفسه أعقابا

ان الناسفات اداة للدمار السريع الشامل تنزل على البلد ذى الأهل الكثير والسكن المشيد فلا تترك فيه لا أهلا ولا سكنا ،وتذهب في ساعات أو أيام بآثار للمدنية ظل المجهود الانساني يعمل فيه القرون ، آثار لا تقتصر على ابنية ضخمة، ومكاتب مشيدة ، ودور للتحف مليئة ، ومنشآت للصناعات وسيعة ، بل تشمل أكبر أثر وأثمن خلف ، ذلك الانسان نفسه ، تلك الجماجم البشرية التي تطيح وبها تراث الأمم وثقافات الأجيال وودائع الدهور . والناسفات كذلك

العالم النسائي

رسالة المرأة

للآنسة أسماء فهمي

درجة شرف في الآداب

اختص الرجال بالنبوة دون النساء ، وعد الرجل ذلك الاختصاص بطبيعة الحال بابا للتفاوت بينه وبين المرأة ومبررا للتعالي عليها ، ولكن المرأة وان لم تنل هذا الشرف في الاديان السماوية فانها في الامم الوثنية القديمة كمصر واليونان قد بلغت من تقدير الانسان حد التأليه فعبدها السنين الطوال . . . وأقام لها أبدع الهيا كل واجمل التماثيل والنصب . فكانت مثلا المعبودة ايزيس التي عدها قدماء المصريين رمزا للفضائل النسوية من حنان وشجاعة وصبر ووفاء ، تنافس الآلهة الآخرين بوفرة قرابينها وكثرة قاصديها . وكذلك عبد افروديت وفينوس ملايين البشر من اغريق ورومان ، اذ كانتا رمزا لصفة مرغوبة في المرأة وهي الجمال ... منبع الوحي والالهام . والعرب الذين لم يقيموا التماثيل للمرأة لا في جاهليتهم ولا في اسلامهم جعلوها حلية في صدر قصائدهم التي لها ماللها كل المصرية من جلال وفخامة ، وما للتماثيل الاغريقية من خلود وجمال ، فجرت العادة ان يترنم الشاعر باسم المرأة في مطلع قصيدته وإن لم يكن الموضوع موضوع غزل وهيام ؛ وذلك اعتراف بليغ بما للمرأة من أثر في عبقريتهم وفنهم . والعالم الحديث يقدر ما في المرأة من قوة الوحي والالهام بطريقة لا تختلف كثيرا عن طرق الاقدمين . ففي عالم الفن مثلا تستخدم المرأة للتعبير عن العواطف السامية والمعاني الرقيقة فنرى « وات (Watt) الفنان القدير يمثل الأمل في غادة فاتنة تجلس على سطح الكرة الارضية تحت سماء لا يبزغ فيها غير نجمة واحدة ترسل قبسا ضئيلا من الضوء ، تحاول ان تعزف نغما على قيثارة ليس بها غير وتر واحد .. كذلك نشاهد يمثل الربيع بما فيه من حيوية متدفقة ، وأمل باسم ، وجمال فاتن في (فلورا) الشهيرة ذات الحسن الرائع . والمثال المصري « مختار » في تمثال نهضة مصر ، يمثل مصر الحديثة التي أخذت تلقي جانبا أغلال الخمول بفتاة قروية ممتلئة جمالا ونشاطا . ولم نذهب بعيدا في ضرب الامثلة وبين أيدينا غلاف مجلة « الرسالة » نرى فيه المرأة حاملة شعلة الوحي والثقافة؟

على ان وحي المرأة ورسالتها لا يقتصران على عالم الفن وانما يلعبان كذلك دورا خطيرا في الحياة العملية وخصوصا في أشد ظروف الحياة صعوبة وخطرا ؛ فنرى المرأة تصحب الجيوش إلى ميادين القتال لا لتضميد الجراح فحسب ، بل لتقوية العزائم وبث روح الاستبسال والتضحية في النفوس أيضا

ذلك هو المكان الرفيع الذي تشغله المرأة في الحياة فضلا عن وظيفة الامومة التي تستدعي الايحاء باستمرار الى الابناء ، والمرأة المصرية بصرف النظر عن وظيفتها الخاصة تحمل رسالة مزدوجة لبنات جنسها ولأبناء وطنها وهم في فترة التطور الحرجة .

وماذا عسى ان تكون هذه الرسالة التي تضطلع باعبائها المرأة؟ إن الشهد لا يصنع الامن رحيق الزهر ، ونموذج الفن لا يوحي الى النفس بالكمال الا اذا بلغ نهاية الاجادة .. فمن الطبيعي اذن ان تكون رسالة المرأة للمرأة هي حثها على اتباع ما يجعلها اهلا للوحي والالهام بان تعمل على تجميل النفس قبل تجميل الوجه والثوب : فاذا لم تسم روح الفتاة وتعل همتها لا تصلح للقيام بمهمتها . فالفتاة العابثة المستهترة التي تكتفي بالقشور من الف صنف للتمويه والتغرير ؛ والفتاة التي لا تعيش لمثل أعلى بل لا تخرج عن عالمها المادي المحسوس وضروريات الحياة الاولية ، لا يمكن ان ترتفع الى سماء الوحي لأن المادة المتغلغلة فيها تقعد بها عن النهوض والسمو .

ورسالة المرأة للرجل تنسجم مع رسالتها السالفة وتتفق مع أغراض وحيها ، فتيار المادة في نفس الرجل ونفس المرأة قد طغى وأقام حجابا بينهما وبين المثل العليا . واصبحنا في عصر قلما يصغي فيه لوحي غير وحي المنفعة الذاتية ، ونتج عن ذلك ضعف روح الاستبسال من أجل الوطن والمبدأ والعقيدة ، وصرنا نفر من المقارمة اذا ابصرنا الخصم أكثر منا عددا واعظم عدة ، فكأن الغرض مجرد الانتصار لا تادية الواجب وإراحة الضمير بصرف النظر عن النتائج . فرسالة المرأة في هذه الحال هي الحث على العودة الى تعاليم الفروسية ، لان أهم مايفتقر اليه الرجل حقا هو تلك

ليـــلى الاخيلية

آخر منظر من حياتها

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

الصحراء هادئة نائمة لايحرك رمالها الا ريح خفيفة ناعمة تهب بين آونة وأخرى. والليل ساكن صاف ، والسماء سوداء قاتمة لولا نجوم تضىء هنا وهناك : واقبل المسافران يتهاديان على جمليهما ، وعلى مسافة منهما سار قومهما . وكأنما كان هذان المسافران رسولى حركة وحياة لهذا السكون المهيب ، فقد هبت بقدومهما رياح عنيفة شيئا ما : فأزعجت رمال الصحراء المستكينة الهادئة .

المسافران امرأة وزوجها ، والتفت الرجل الى المرأة وكأنما وجد فى هذه الرياح الجديدة سببا يقطع به هذا الصمت الذى لازمهما منذ بدء رحلتهما . ولكن المرأة كانت ساهمة ذاهلة فلم يقو على الكلام - لقد كانت تشع منها قوة عجيبة تضطره بل تضطر كل شىء حولها الى السكون والهدوء احتراما لتفكيرها وحزنها

ورفعت المرأة رأسها فى هدوء ، واتسعت عيناها متجهتين نحو نقطة صغيرة لاحت لها فى الافق القاتم من بعيد . وظلت عيناها عالقتين بهذه النقطة وكأنما ربطتا اليها ربطا . ثم اتضحت هذه النقطة شيئا فشيئا فاذا بها اكمة صغيرة . هذه هى الأكمة التى كانت تفكر فيها ، هذه هى الأكمة التى كانت تحترق شوقا للوصول اليها

ورنت الابيات للمرة المائة فى اذنيها بصوت عذب عميق هادىء .

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت   على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقى   اليها صدى من جانب القبر صائح

ترى ايجيب حقا ؟ لقد كان صادقا لم تعرف له كذبة قط . ولكن من سمع بميت يجيب حيا ..؟ توبة ! لقد مات ! نعم مات فبكيته ورثيته .. أأكون حالمة ؟ وهل أفيق من حلمى فوق هذه الأكمة ..؟ نعم سأفيق ، سيجيبنى ، ساخلص من هذا العذاب الذى يحرق اعصابى حرقا .. ولوان ليلى الاخيلية سلمت .. لسلمت تسليم البشاشة ..

ظلت ليلى تردد الابيات مفكرة وعيناها عالقتان بالاكمة التى لاحت الآن واضحة ظاهرة ، ورأى الزوج الأكمة فعبس وقال لنفسه لن تمر ليلى بهذه الأكمة حتى تصعد الى قبر توبة . وثارت فى نفسه ثورة الغيرة واخذ يتساءل ساخطا حانقا . ايمكن ان يكون حب كهذا ؟ لقد احبته فتاة ، ولكنه تزوج غيرها وتزوجت غيره فلم يضعف هـــذا الحب ، وهاهو ذا الآن قد مات ودفن وبلى جسمه ولكنها مازالت تحبه ، لم أقو انا على محو ذكره ، لم أقو انا على ملء فراغ تركه بموته ، نعم لم استطع ازاء هذا الحب شيئا..

ظل يغلى فى ثورته ، وظلت هى فى تفكيرها الحزين المؤلم ، حتى وصلا الى الأكمة ، فاتجهت اليها صاعدة ، ولكن زوجها صاح بها حانقا ثائرا ..

— ليلى ! ارجعى لن تصعدى

ولكنها اجابته بصوت حزين وكأنها لم تلاحظ ثورته

— اتمر ليلى بقبر توبة فلا تحييه ؟ وصاح بها ثانية !

— ليلى ! ربك لاتصعدى ، لقد مات توبة ولن تجديه تحيتك شيئا .

وصدمتها كلماته صدمة عنيفة ، لقد مات توبة ولن تجديه تحيتى ! كلا كلا توبة لم يمت ! أن روحه حية ، إن صوته مازال يرن فى اذنيها ، فلوان ليلى الاخيلية سلمت لسلمت .. نعم ، سيسلم على ، سيجيب

الروح السامية التى اكسبت العصور الوسطى جل مالها من جلال ووقار . فقد كان الفارس يخوض المخاطر ويركب الاهوال فى سبيل عقيدته ووطنه ، وكان يضع الشرف والكرامة فوق الحياة نفسها ، ويرتبط ، بالعهد ارتباطه بدينه . وليس معنى الرجوع الى ذلك العصر هو احياء تلك الفضائل فى عصرنا ، فالواقع ان تلك الصفات تسود اليوم أكثر بلاد الغرب ، وهى مصدر مايعتز به من إباء وكبرياء واستقلال وحرية

وهناك غرض آخر لاختيار ذلك العصر ، فقد كان على رغم خشونته وقسوته مدينا بالكثير من فضائله الى وحى المرأة . اذ قضت التقاليد ان يتطلع كل فارس الى سيدة شريفة يتوسم فيها العظمة والنبل ، فيعمل على كسب اعجابها بان يخوض الغمار باحثا عن المجد مدفوعا بروحها مترنما بذكرها

فاذا كانت المرأة قد قامت بمثل هذا الدور برغم انحطاط مركزها وفى عصور امتازت بقسوتها وبأن الكلمة العليا فيها كانت للسيف ، فهل تعجز المرأة الراقية فى عهد الاستقرار والأمن عن ان تلهم أشبال السلم وهى التى على ضعفها قـــد الهمت أسود الحرب ؟

أسماء فهمى

شقوا له الأعلام من أ ـفانه   وتبادلوا الأنخاب من عبراته
أعلام إذلال كأن خفوقها   فى جوه لطم على وجناته
ملفوحة بتحسرات سراته   خفاقة بتنهدات هداته

ومن قوله فى لوم قومه:

رضينا للتعصب أن نهونا   فأغمضنا على الضيم العيونا
نقول المسلمون المسلمونا   فنرميهم ونحن الخائنونا
نبيع بدرهم مجد البلاد

فتى حوران لا لاقيت ضرا   لأنت أحق أهل الشام فخرا
لئن لم يؤتك الرحمن نصرا   فحسبك أن غضبت ومت حرا
ولم تسلس لقيد أو قياد

بربك قل متى لبنان ثارا ؟   ليدرك من علوج الغرب ثارا
متى نفرت الى السيف النصارى   لتغسل بالدم المسفوك عارا
وتحرز مرة شرف الجهاد

ويقول بعنوان «صيحة الجهاد»

ولو لم تكونى فرنجية   لكنت سعادى قبل سعاد
ولكننى عربى المنى   عربى الهوى عربى الفؤاد
لعمرك «يامود(١)» لولا ذووك   لما ميز الحب بين العباد
ولا أكرهوا شاعرا أن يقـ   ـول لهذى البلاد وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور   وهم اضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلى شاعرا زاهدا   وكم هام بالحب فى كل واد
فأنى حرام على هواك   وفى وطنى صيحة للجهاد

ويقول فى حفلة عيد الفطر التى أقامتها الجمعية الخيرية الأسلامية بالبرازيل:

اكرم هذا العيد تكريم شاعر   يتيه بآيات النبى المعظم
ولكننى أصبو الى عيد أمة   محررة الأعناق من رق أعجمى
إلى علم من نسج عيسى وأحمد   و «آمنة» فى ظله أخت «مريم»
هبونى عيداً يجعل العرب أمة   وسيروا بجثمانى على دين برهم !
فقد مزقت هذى المذاهب شملنا   وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا   وأهلا وسهلا بعده بجهنم !

وفى قصيدة الأطرش والدبابة:

اذا حاولت رفع الضيم فاضرب   بسيف محمد واهجر يسوعا
«أحبوا بعضكم» بعضا وعظنا   بها ذئبا فما نجت قطيعا

وبعد فللشاعر القروى «رشيد سليم الخورى» الثناء والأعجاب من العرب والعربية، والتحية من كل نفس حرة، وقلب بالمعالى خفاق ؟

عبد الوهاب عزام

(١) فتاة انجليزية تحببت الى الشاعر

الاســـاليب

(بقية المنشور على صفحة ٦)

يقدم نحو الصواب أو يؤخر. تكون مسألة بحثهم تاريخية أو ادبية أو دينية علمية بحتة قد تولوا درسها على اساس لهم فى ذلك فانتهوا الى نتيجة ما ؛ فهم لا يشتغلون بتقريرها وتأييدها ، وتقوية مواضع الضعف فيها . على ما تتطلبه امانة البحث ؛ ويقضى به نظام الأخصاء والتفرد . بل يدعون ذلك الى الاشتغال بأن ما تقرره ناحية اخرى أو باحث آخر ليس إلا تضليلا مثلا . أوهو خداع أو ما أشبه : وهذه الناحية وذاك الباحث قد عرض للموضوع بغير طريقتهم وعلى غير اساسهم ، ويزيد النار تأججا ان يكون الموضوع مما للعقيدة مثلا به صلة ؛ فنحن نعرف ان الوشائج متصلة بين الدين والفن ، وبين الدين والعلم فى اشياء كثيرة : فالأنبياء والرسل مثلا من حق التاريخ ؛ والقرآن من متناول الأدب والتاريخ؛ فلا جدوى على الحقيقة مطلقا فى ان ينتهى باحث فى مثل هذه الاشياء الى رأى استقرائى أوحكم تاريخى فيكون همه تأكيد ان غيره من كلام الدينيين خداع أو اتجار أو نحو ذلك مما يعزز حكما ولا يدعم رأيا ؛ بل لا ينفى عنه مظاهر ضعفه على حين يثير المعتقدين فى غير طائل؛ ويفقد الحقيقة فرص الظهور والاتضاح . ولو قرر مايقرر من ذلك فى أسلوب سليم وبحث مستقيم ثم لوح ملوح بمخالفة ذلك للدين ؛ لوجب عندى ان يترك لاهل الدين أمر التوفيق أو التأويل ؛ أو ماالهم مخلص لحمل كل عبئه

ولو رؤى وصل الناحيتين لابد مع التزام حدود التخصص ؛ والاحترام الحقيقى للحرية العقلية للزم السعى اولا الى رجال الدين بهذه الشبهة يسألون كشفها ويكلفون دفعها ؛ فعليهم فى ذلك واجبهم يحسنونه او يحرجون بعجزهم ؛ ويمضى العالم او المؤرخ أو الاديب وقد سلم له أنصاره ووقته وبحثه لا يخسر فى ذلك شيئا على غير جدوى ، ولا يثير الامخالفة عاقلة قد تكشف له عن نقص فى رأيه أو تثبت صحته حين تتهاوى السبة عنه

تلك اساليب بحث وضروب تفكير لها خطرها فى تمزيق وحدة الشبان وأفساد الجيل ، وقطع أواصر التآلف النفسى والتمازج الروحى قطعاً يعوق التعاون الاجتماعى الذى يتطلبه الوطن ماحدا من هذا الجيل ، فليست الخسارة من وراء اختلاف تلك الاساليب عقلية فحسب ، ولا فنية فحسب ، ولا خلقية فحسب ، ولا اجتماعية فحسب ؛ بل هى كل أولئك مجتمعة ، وماأهولها !!

وفى مصر أساليب أخرى فكرية أفردها بمقال آخر؟

أمين الخولى